

فصول من المتنوي

جلال الدين الرهوي



فصول من المتنوي

فصول من المشنوي

تأليف
جلال الدين الرومي

ترجمة
عبد الوهاب عزام



رقم إيداع ٢٠١٣/١٣٣٥٨

تدمك: ٦ ٣٢٧ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إسلام الشيمي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2013 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٩	مقدمة
١١	سيرة جلال الدين
٣١	فصول من المثنوي
٣٣	قصة التاجر والبيغاء
٧٧	قصة الأسد والوحوش والأرنب
١٠١	مقدمة الجزء الثالث من المثنوي

سینه خواهم شرحه شرحه از فراق تا بکویم شرح درد اشتیاق

جلال الدین

الترجمة:

أین صدرٌ من فراق مُزَقَا کی أَبَتَّ الوجد فيه حُرَقَا

* * *

حاصل عمرم سه سخن بیش نیست خام بُدَم پخته شدم سوختم

جلال الدین

الترجمة:

حاصل العمر حوته أَحْرَفُ: كنتُ نِيئاً قبلُ، أَنضَجْتُ، احترقتُ



مولانا جلال الدين الرومي (صورة في تكية يكي قپو باستانبول منقولة من كتاب «جلال الدين الرومي» للأستاذ بديع الزمان الأستاذ بجامعة طهران).

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتيّب عرضت فيه صُورًا من كتاب المثنوي لجلال الدين الرومي. وهو الكتاب الذي سمّاه الشيخ عبد الرحمن الجامي، فشاعت تسميته: «القرآن في اللغة الفارسية». ترجمت فصلين من الجزء الأول من الكتاب، وفاتحة الجزء الثالث، وأثبتت مقدمة عربية قصيرة كتبها الناظم للجزء الثالث، وقدمت قبل الترجمة سيرة الشاعر مجملة. وقصدت بهذا الكتيّب إلى التعريف بالصوفي العظيم جلال الدين، وبالأدب الصوفي الذي زخرت به اللغة الفارسية. والله أسأل أن ينفع بما ترجمتُ، ويجعله فاتحة ترجمات وأبحاث في الأدب الصوفي أوسع وأجدى. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

القاهرة في (٢٧ شعبان ١٣٦٥هـ/ ٢٦ تموز ١٩٤٦م)

سيرة جلال الدين

١

تكايا المولوية لا تزال قائمة في مصر والشام، وكانت إلى عهد قريب كثيرة في أرجاء تركيا، وكان لها عند القوم مكانة عظيمة، وكانت مشيخة الطريقة في قونية حيث عاش ومات صاحب الطريقة. وكان للشيخ — ويُسَمَّى جَلْبِي قونية — منزلة عند السلاطين العثمانيين، وجرت سنتهم أن يقلد الشيخ سيفَ عثمان من يتولى الملك من أبنائه، ونشأت تكايا المولوية كثيرًا من كبار الصوفية، وأخرجت أدباء كبارًا، وكان لها آثار شتى في العالم الإسلامي.

المولويون ينتسبون إلى «مولانا» وهو جلال الدين الرومي الصوفي الشاعر العظيم صاحب «الكتاب المثنوي» الذائع الصيت، والعظيم الأثر في العالم الإسلامي الشرقي. وقد رُوِيَ عن الشاعر الصوفي الكبير عبد الرحمن الجامي بيتان معناهما: «إن كنت عالمًا بأسرار المعرفة فدع اللفظ واقصد المعنى: إن المثنوي المعنوي المولوي هو القرآن في اللسان الفارسي. ماذا أقول في وصف هذا العظيم؟ لم يكن نبياً ولكنه أوتي الكتاب.» وقد شُرح المثنوي كثيرًا بالتركية والفارسية والعربية، وطُبِعَ شرحه العربي في المطبعة الوهبيّة سنة ١٢٨٩، كما طُبِعَ في بولاق الكتاب نفسه وترجمته التركية التي نظمها الشاعر نحيفي، ولا تزال هذه الطبعة أجمل طبعات المثنوي حتى يومنا، وفي آخر هذه الطبعة أبيات عربية لرئيس المصحّحين آخرها:

وإن بدا كالبدْر في كماله وقد زها بالحسن طبعا وضعه

فصِحْ وَقُلْ يا صاح في تاريخه: «المثنوي قد أتم طبعه»

وحساب الشطر الأخير بالجُمْل ١٢٦٨، وهو تاريخ الطبع. فقد أخرجت مطبعة بولاق أجمل طبعات المثنوي قبل سبع وتسعين سنة. ولكن معرفة هذه البلاد بالمثنوي وصاحبه لم تزد في هذا القرن الذي مضى بعد طبع الكتاب، إلا حين شرعت كلية الآداب تعلّم الأدب الفارسي منذ عشرين عامًا، وقد زادت عنايتها بالآداب الفارسية وما فيها من التصوف، وبالآداب الشرقية الأخرى، فأنشئ منذ سنتين معهد اللغات الشرقية بكلية الآداب، والمثنوي يدرّس اليوم لطلاب هذا المعهد. وقد سبقنا المستشرقون إلى العناية بجلال الدين وشعره، فترجم الكتاب إلى لغات أوربية عدة، وكان أكثر الغربيين عناية به مستشرقو الإنكليز، وقد بلغت هذه العناية غايتها بأعمال الأستاذ نكلسون الذي أتم أبحاثه الكثيرة في التصوف الإسلامي بترجمة المثنوي كله إلى الإنكليزية، وطبع الأصل الفارسي والترجمة.

٢

موضوع بحثي التعريفُ بجلال الدين الرومي، والتعريفُ بأثره الخالدين: المثنوي والديوان. وتبيين مكانته في التصوف والشعر والآداب الإسلامية كلها. والكلام قسمان: الأول: تاريخ جلال الدين وأسرته. والثاني: كتبه وآراؤه. ذكر جلال الدين نفسه في المقدمة العربية التي صدر بها المثنوي فقال: «يقول العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى محمد بن محمد بن الحسين البلخي» لم يزد على هذا في تسمية نفسه وتسمية أبيه وجده، ويكاد الذين ترجموا لجلال الدين يُجمعون على أنه بكرى من ولد أبي بكر الصديق، ومنهم من يذكر سلسلة نسبه إلى أبي بكر، فيجعله محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد بن محمود بن مودود بن ثابت بن المسيب بن المطهر بن حماد بن عبد الرحمن بن أبي بكر، ويروى عن شمس الأئمة الحلواني نسبة أخرى تصل جلال الدين بإبراهيم بن أدهم. ولا أود أن أطيل الوقوف على هذا النسب، فليس يتسع المقام له، ولا أريد أن أشارك المتنازعين في نسبه من الفرس والترک كما تنازعوا في ابن سينا وغيره؛ فإن هذه العصبية أبغض شيء إلى هؤلاء الكبراء الذين نُوِّرَ لهم، وخير ما يقال في جلال الدين وأمثاله ممن نشأتهم الحضارة الإسلامية وغذتهم بمعارفها أن يُنشد قول الشاعر:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

وبعض المؤلفين يذكر جَدَّ جلال الدين باسم الحسين الخطيبي بن أحمد الخطيبي. والذي لا يرتاب فيه الباحث أن مولانا من أسرة بلخية نابهة، وليس لدينا ما يدعو إلى الارتياب في اتصالها بالمصاهرة بملوك خوارزم، تزوج حسين جد جلال الدين ملكة جهان بنت علاء الدين تُكش خوارزمشاه (٥٦٨-٥٩٦هـ)، ويقول المغالون في تعظيم هذا البيت: إن هذا الزواج كان بأمر الرسول ﷺ، ولد من هذه الزيجة محمد بهاء الدين ولد، وهو والد جلال الدين، ويروى أن الحسين أبا بهاء الدين توفِّيَ وابنه في الثانية من عمره، فلما كبر بهاء الدين وتصدَّى للتعليم والوعظ ذاع صيته وأقبل عليه الطلاب من كل صوب، حتى لُقِّبَ سلطان العلماء، ويروى أن رسول الله لُقِّبَ بهذا اللقب.

يتفق الرواة على أنه وقع نفور بين بهاء الدين وبين خاله ملك خوارزم محمد قطب الدين (٥٩٦-٦١٧)، وهو الملك الذي أثار التتارَ على البلاد الإسلامية من بعد، فذهبوا بملكه وترك لابنه جلال الدين مَنْكُبرْتِي مُلْكَاً في أيدي التتار جالِدُهُم عليه اثنتي عشرة سنة في المشرق والمغرب إلى أن قُتِلَ تاركًا على الخطوب سيرة لا تُمحي.

ويُعزى النفور الذي وقع بين سلطان العلماء وملك خوارزم إلى غيرة الملك من مكانة الشيخ، ويقال: إن فخر الدين الرازي نفَّرَ السلطان منه، وكان فخر الدين يكره الصوفية، ويروى أن خوارزمشاه أرسل إلى بهاء الدين يقول: «يرى السلطان أن يترك ملكه لك ويذهب إلى بلاد أخرى.» فأجاب بهاء الدين: «إن الملك يستهزئ بنا ويأخذنا بكلام الحاسدين، ولسنا في حاجة إلى ملكه الذي يعرضه علينا، فليطمئن الملك، فسنذهب نحن.» ثم أمر بالإعداد للسفر، ولم يثنه عن السفر ندْمُ السلطان ولا حزن العامة والمريدين، ثم رحل ومعه ثلاثمائة من تلاميذه، وحمل معه أحمالاً كثيرة من الكتب، وتوجَّه تلقاء بغداد سنة ٦٠٧، وابنه محمد جلال الدين في الرابعة من عمره، فلما مرَّ بنيسابور لقيه جماعة من العلماء منهم الصوفي الشاعر الكبير فريد الدين العطار، ويقال: إن العطار بشرَّ بهاء الدين بمستقبل عظيم لابنه، وبارك على الطفل وأعطاه كتابه «الإلهي نامه» (وهي منظومة صوفية طويلة فيها زهاء ستة آلاف وخمسمائة بيت، وقد طبعت في استانبول منذ سنتين، نشرها الأستاذ ريتز).

واصل بهاء الدين ورفاقه السفر حتى بلغوا بغداد، فاستقبله جماعة من كبرائها وعلمائها فيهم الشيخ شهاب الدين السُّهُرَوْرِدِي، وأنزلوه في المدرسة المستنصرية التي

بناها الخليفة المستنصر بالله العباسي، ولا يزال كثيرٌ من أبنيتها قائماً مشرفاً على دجلة، (والسُّهُرَوْرِيُّ الذي استقبل بهاء الدين ينبغي أن يكون أبا حفص عمر المتوفَّى سنة ٦٣٢، وأما السُّهُرَوْرِيُّ الكبير أبو النجيب فقد تُوِّفِّي سنة ٥٦٣).

ولبث في بغداد حيناً يعظ ويعلم، ثم سار إلى الحجاز للحج ثم دمشق وحلب. وكانت له بعدُ رحلات في بلاد الروم (الأناضول) وأرمينية، فأقام في أرزنجان بأرمينية وفي مَلطية مُدَّةً مختلفة، ثم انتقل إلى لارنده (قرمان)، فأقام سبع سنوات يدرس في المدرسة التي بناها الأمير موسى.

ثم دعاه السلطان علاء الدين السلجوقي (٦١٦-٦٣٤) إلى مدينة قونية حاضرة مُلكه، فرحل إليها سنة ٦٢٣، واستقر بها بعد رحلات استمرَّت زهاء ستة عشر عاماً، وأقام في مدرسة ألتونيا وعلم بها حتى تُوِّفِّي ضحى يوم الجمعة لثمانية عشرة خلون من ربيع الثاني سنة ٦٢٨.

٣

جلال الدين

وُلد جلال الدين في بلخ سادس ربيع الأول سنة ٦٠٤هـ، ورحل به أبوه وهو طفل في سن الرابعة، وصحبه في حله وترحاله، وتزوَّج في مدينة لارنده، وسنُّه إحدى وعشرون، تزوج جوهر خاتون بنت لالا شرف الدين السمرقندي، ومن هذه الزيجة وُلد له ابنه علاء الدين وسلطان ولد، ويظهر أن جوهر خاتون لم تعش معه طويلاً، فتزوج بعد وفاتها أخرى عاشت بعده.

توفي سلطان العلماء بهاء الدين وعُمُرُ جلال أربع وعشرون سنة، فخلف أباه على درسه، فكيف درس جلال حتى تأهل لِأَنَّ يَخلف سلطان العلماء في هذه السن؟ لا ريب أن جلال الدين كان ذا مواهب نادرة، وأن مخايل الذكاء وأمارات التصوف بدت عليه في صباه، ويروى أنه كان مجداً في تحصيل العلم لا يفتر في السفر والإقامة. وأما شيوخه فأولُّهم أبوه، فلا ريب أن جلال الدين حضر درسه منذ أعدَّته السن للتلقين عنه، ويروى كذلك أنه تلقى العلم عن شيوخ في دمشق وحلب، وأنه أخذ التصوف عن برهان الدين الترمذي أحد أصحاب أبيه، وعن صلاح الدين زركوب وحسام الدين چلبی، ولا أعرف عن درسه وشيوخه أكثر من هذا.

تولى جلال الدين في أربع مدارس في قونية وكثير طلابه، واستمر على نهج أبيه في درس العلوم الدينية بضع عشرة سنة، ثم كان حدثٌ غيّر وجهه جلال وأثر في نفسه أثرًا بليغًا، ولست أستطيع تأريخَ هذا الحدث، ولكنني أرجح أنه وقع وجلال الدين بين الخامسة والثلاثين والأربعين من عمره، وإن أَرخّه بعض الرواة تأريخًا دقيقًا: ٢٦ جمادى الثانية سنة ٦٤٢.

ذلكم الحادث العجيب هو لقاء هذا الدرويش العجيب شمس الدين التبريزي، فلا بدّ من وقفة في هذه المرحلة من تاريخ مولانا، فعندها كان منعرَج الطريق.

٤

شمس الدين التبريزي

هو محمد بن علي بن ملك التبريزي، قيل: إن نسبه ينتهي إلى كيا بُزرك أميد خليفة حسن الصباح شيخ الإسماعيلية، وكان أبو شمس الدين من الإسماعيلية فخالفهم وأحرق كتبهم ودعا إلى الإسلام في قلاعهم، وأرسل ابنه شمس الدين إلى تبريز لتلقي العلم. ويقال أيضًا: إنه وُلِدَ في تبريز، وكان أبوه بَرَّازًا بها.

وأخذ التصوف عن شيوخ في تبريز، وله سند في الطريقة يذكره بعض المؤرخين: منهم دولتشاه السمرقندي صاحب تذكرة الشعراء.

يقول دولتشاه: إن شمس الدين كان في صباه جميلًا رائعًا حتى رُبِّي بين النساء غَيْرَةً عليه، ثم كثرت سياحاته حتى لقب «پروانه» أي الفَرَّاشَة.

وكان قوي النفس، جريئًا مؤثّرًا في سامعيه شديدًا عليهم، يلقب من يعظهم أحيانًا بالثيران والحمير، وكان قليل الدرس فيما يظهر، ولكن ثورة نفسه واعتقاده أنه ملهم كانا يسحران من يلقاه.

وقد وصفه الأستاذ نكلسون المستشرق الإنكليزي في مقدمة كتابه الذي سمّاه «قصائد مختارة» من ديوان شمس تبريز، وبَيَّن مشابَهته سقراط في ثورته وقوّته، وأن كلاً منهما وجد من يعبّر عن آرائه الخشنة بكلام بليغ رقيق.

ذلكم إجمال ما يُروى عن هذا الصوفي العجيب الذي نقل جلال الدين من مدرس يعلم العلوم الدينية إلى صوفي منقطع للرياضة الصوفية، ونظم الشعر وسمع الموسيقى. جاء شمس الدين إلى قونية ونزل في خان سُكُريز، ويقال: إن شيخه ركن الدين أرسله إلى جلال الدين ليدخله في الطريق الصوفي.

وتُروى قصص عن اللقاء الأول بين جلال وشمس، يراد بها تمثيل ما بين علماء الظاهر والصوفية من خلاف، وتبيين سرعة تحوُّل جلال الدين من هؤلاء إلى هؤلاء. وتأثيرُ شمس في جلال ونفوذهُ إلى سرائره وتمكُّنه في قلبه لا يحتاج إلى بيان؛ فأشعار جلال الدين في المثنوي وفي ديوانه الذي سمَّاه ديوان شمس تبريز، فيأضة بالحب والإجلال والمبالغة في إعظام شمس والإعجاب به، ولكن لا أحسب جلالاً تحوَّلَ طفرة واحدة من العلماء إلى الصوفية؛ فقد نشأ في بيت تصوف، وأخذ عن شيوخ الصوفية، ودل شعره على استعداد لها وميلٍ إليها؛ فلم يكن لقاء شمس إياه إلا إثارة للشوق الذي في نفسه، وتأجيجًا للنار التي في فؤاده.

أخذ جلال الدين يهجر درسه ويأنس إلى التبريزي، ويخلو به ويسايره في المتنزهات، ورأى تلاميذ جلال الدين أن هذا الضيف العجيب أخذ يَسْتَبِدُّ بأستاذهم، ويصرفه عن سبيله، ويحيد به عن سنن العلماء؛ فثاروا بهذا الدرويش، واضطروه إلى أن يهرب من قونية إلى تبريز، ولكن جلال الدين لم يصبر عنه، فذهب إليه وأرجعه إلى قونية، ويقال: إنه خرج إلى دمشق أيضًا، فأرسل جلال الدين ولده فرجع به إلى قونية.

ثم تقع ثورة يختفي بعدها التبريزي وتنقطع أخباره، وتختلف الأحاديث في أمره، فيقال: إن شرطة السلطان قتلتَه، ويقال: قتله بعض تلاميذ جلال الدين، وشارك في قتله علاء الدين بن جلال الدين. ويقال: إن سلطان ولد الابن الثاني لجلال تقصَّى أخباره حتى أخرج جثته من بئر ودفنها.

وفي قونية اليوم مزار لشمس الدين مُشَيِّدٌ عليه قبة عالية، وكانت وفاة التبريزي فيما يظهر سنة ٦٤٥.

٥

شُغل جلال بالرياضة وشُغف باستماع الموسيقى والغناء ونظم الأشعار وإنشادها، وردَّد اسم شمس الدين في كثيرٍ منها، ونظم الكتاب المثنوي، واجتمع إليه المريدون فراضهم على طريقته التي عُرِفَتْ من بعدُ باسم المولوية.

واستمر على هذا إلى أن توفِّيَ مغرب يوم الأحد خامس جمادى الثانية سنة ٦٧٢، ودُفِنَ بجانب أبيه في القبة التي شادها له علاء الدين السلجوقي، ولا تزال قائمة في قونية، وقد زاد عليها سلاطين العثمانيين أبنية اتُّخِذَتْ تكية للمولوية على الشكل الذي يَرى اليوم في قونية.

وكان جلال الدين رحمه الله معتدلاً القامة، ليس بالبادن ولا النحيف، وجهه مشرب بحمرة، ثم نُحِفَ ومال لونه إلى الصُّفْرَة بطول المجاهدة. وترك ابنه سلطان ولد صاحب الأثر المحمود في الأدب التركي العثماني. وخلف مولانا في مشيخة الطريقة إنفاذاً لوصيته خدينه ونجيّه حسام الدين چلبی، حتى توفي سنة ٦٨٣، فخلّفه سلطان ولد إلى أن توفي سنة ٧١٢، وتداول حفدة الشيخ المشيخة، وكل منهم يسمى چلبی قونية، إلى أن فعل الكماليون ما فعلوا بالطرق والتكايا، وتكية قونية اليوم متحف فيه بعض مخطّفات جلال الدين وحفدته وبعض الكتب، وقد زرتّها سنة ١٣٥٥هـ ووصفتها في كتاب الرحلات.

٦

المثنوي والديوان

ترك جلال الدين أثره الخالدين على الدهر: المثنوي والديوان، وتنسب إليه رسالة منثورة اسمها «فيه ما فيه»، ومنها نسخ في مكتبات استانبول. فأما المثنوي فمنظومة صوفية فلسفية عظيمة، تحوي خمسة وعشرين ألفاً وسبعمائة بيت، في ستة أجزاء، والجزء السابع الذي تشتمل عليه بعض نسخ الكتاب منحول لا يشبه كلام جلال الدين، والمؤلف نفسه يقول في مقدمة الجزء السادس مخاطباً حسام الدين چلبی:

بیشکش می آرمت ای معنوی قسم سادس در تمام مثنوي
شش جهت رانورده زين شش صحف كي يطوف حوله من لم يطفأ

وقد خلت من الجزء السابع النسخ القديمة. وكتب سلطان ولد ابن جلال الدين خاتمة الكتاب عقب الجزء السادس.

وقد سمى الرومي كتابه «المثنوي»، وهو اسم هذا الضرب من القافية التي تُسمّى في العربية المزدوج، سماه هذه التسمية اللفظية كما سمى أبو العلاء كتابه اللزوميات باسم لفظي محض.

وأما تاريخ نظم المثنوي، فيحدّثنا الناظم في مقدمة الجزء الثاني أن نظم المثنوي تأخر مدة لغياب حسام الدين، وأنه يستأنف النظم سنة ٦٦٢، وقد استمر ينظم الأجزاء

الخمسة حتى توفي سنة ٦٧٢؛ فيكون لكل جزء سنتان، فإذا قدرنا أن الفترة بين الجزأين الأول والثاني كانت سنتين كما يُروى، وأن الجزء الأول نُظِمَ في سنتين، فقد بدأ الشاعر الصوفي ينظم منظومته الخالدة سنة ٦٥٨ من الهجرة وسنة ٥٤ سنة.

٧

حسام الدين والمثنوي

يقول جلال الدين في المقدمة العربية التي صدرَ بها الجزء الأول: إنه نظم الكتاب بدعوة من صديقه حسام الدين چلبي، ويكرر هذا في أول كل جزء، معلناً أن حسام الدين يوحى إليه نظم الكتاب، وأنه يسير فيه ببركة هذا الرجل وهمَّته وتشويقه، ويكفي أن نعرف أنه ترك النظم حين غاب حسام الدين في الفترة بين الجزأين الأول والثاني، وأنه سمَّى الكتاب في فاتحة الجزء السادس «حسامي نامه»^٢.

كان جلال يملي وحسام يكتب، وكانا أحياناً يقطعان الليل كله إنشاءً وكتابة. تدل على هذا الروايات وفصول من المثنوي نفسه.

فمكانة حسام الدين من المثنوي تشبه بعض الشَّبَه مكانة شمس الدين التبريزي في الديوان.

وانظر ماذا يقول في مقدمة الجزء الأول في صفة حسام الدين ومكانته عنده.

المثنوي

قسَمَ جلال الدين كتابه الذي سماه المثنوي ستة أقسام، وصدر كل قسم بمقدمة منثورة قصيرة، من هذه المقدمات الست ثلاثٌ عربية هي مقدمات الأجزاء الأول والثالث والرابع، والأخرى فارسية.

فأما مقدمة الجزء الأول، وهي مقدمة الكتاب كله، فقد وصف فيها كتابه وبألغ في الإشادة به، ثم بيَّن دعوة صديقه حسام الدين إياه إلى نظم الكتاب، وأشاد بحسام الدين وبيته.

ونثبت هنا شذرات من قوله في كتابه، ليتبين اعتداده به ومغالاته فيه، بدأ الكتاب بقوله: «هذا كتاب المثنوي، وهو أصول أصول الدين في كشف أسرار الوصول واليقين، وهو فقه الله الأكبر، وشرع الله الأزهر، وبرهان الله الأظهر، مَثَلٌ نُورِهِ كمشكاة فيها

مصباح، يشرق إشراقاً أنورَ من الإصباح، وهو جنان الجنان، نوات العيون والأغصان، منها عين تُسمَى عند أبناء هذا السبيل سلسبيلاً، وعند أصحاب المقامات والكرامات خيرٌ مقامًا وأحسن مقيلاً. الأبرار فيه يأكلون ويشربون، والأحرار منه يفرحون ويطربون، وهو كنيل مصر شرابٌ للصابرين، وحسرة على آل فرعون والكافرين، كما قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾. وإنه شفاء الصدور، وجلاء الأحزان، وكشّاف القرآن، وسعة الأرزاق، وتطبيب الأخلاق بأيدي سَفرة كرام بررة، يمنعون بالألّا يمسه إلا المطهرون، تنزيلٌ من رب العالمين ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾، والله يرصده ويرقبه، وهو خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين، وله ألقاب أُخرَ لَقبه الله تعالى بها، واقتصرنا على هذا القليل، والقليل يدل على الكثير، والجرعة تدل على الغدير، والحفنة تدل على البيدر الكبير.

وأما المقدمات الأخر فبعضها وصف للكتاب، ونصيحة للطلاب. وقد بين في مقدمة الجزء الثاني الحكمة في تأخير نَظْمِه بعد الفراغ من الجزء الأول، وفي مقدمة الجزء الخامس بين الفرق بين الشريعة والطريقة والحقيقة.

٨

والذي يلقي نظرة على فهرس الكتاب يرى ألوانًا مختلفة من الآيات والأحاديث والحكم والقصص، وإليك هذا المثال من فهرس الجزء الأول: تفسير رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، مجيء رسول الروم إلى عمر، إضافة آدم عليه السلام الذلة إلى نفسه، سؤال سبب ابتلاء الروح، قصة البغاء والتاجر، تفسير بيت العطار ... إلخ، تعظيم السحرة موسى حين رمى العصا، بيان حديث إن سعدًا لغيور ... إلخ، مَصْرَة تعظيم الخلق والشهرة، تفسير ما شاء الله كان، قصة الزامر الهرم الذي ذهب يزمر حسبة في المقابر، حديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات.

وفصول الكتاب لا يستقل بعضها عن بعض، بل يؤدي الاستطراد من واحد إلى الآخر. وربما يبدأ القصة ثم يستطرد إلى قصة أخرى ثم يرجع ليكمل الأولى، وهو يأخذ القصة القصيرة يجعلها وسيلة إلى بيان مقاصده ويطول به البيان حتى يدع حوادث القصة ضئيلة خفية بجانب البيان أو الحوار الذي يبتغيه، ومن أجل هذا يتبين القارئ ضعفًا في القصص أحيانًا أو اختلالًا، وأنى يبالي جلال الدين في استغراقه ووجده وهُيَامِه بإحكام القصص والعناية بصوره؟

وهو قوي البيان فيأض الخيال بارع التصوير، يوضّح المعنى الواحد في صور مختلفة، ويسوق المثل إثر المثل، والمعاني تأتيه أرسالاً، والألفاظ تواتيه انثيالاً، وبحر الرمل يطاوعه رهواً مسترسلاً، حتى ينظم حول القصة الصغيرة القصيرة مئات الأبيات، فيستخرج منها، ويصل بها ما يشاء من الآراء والنصائح والعظات والعبير؛ فقصة الأسد والوحوش والأرنب التي أهلكته من قصص كليلة ودمنة، نظم فيها زهاء خمسمائة بيت، وهي مترجمة في هذه الفصول، وقصة البيغاء والتاجر نظم فيها نحو ثلاثمائة بيت، وهي قصة قصيرة ترجمتها منظومة في هذه الفصول أيضاً ... إلخ. وقلبه مفعم بالعشق الإلهي، ومستغرق فيه، فكل شيء يذكر به وكل فكر يؤدّي إليه؛ فتراه يبتدئ القصة التي تحسبها بعيدة كل البعد عن العشق والاستغراق والفناء، فإذا هو ينتهي إلى هذه المعاني ويغوص فيها، نلكم مُرادها مهما يُقل، وتلكم قبلته أنى توجه، وغاية تصريحه وكنايته، وهو في عبوسه يُكنُّ السرور به، وفي صمته يكثر القول فيه، وإذا نفى فإنها يثبتته. يقول:

أنا غريق العشق الذي غرق فيه عشق الأولين والآخرين. إذا ذكرت الشفة فهي
شفة البحر (حافة البحر)،^٢ وإذا قلت لا فإنما مرادي إلّا.
من السرور جلست عبوساً، ومن كثرة المقال قعدت صموتاً.

بل إذا فكر في القافية وهو مستغرق في النظم نقله هذا الشاغل اللفظي إلى الحبيب المقصود، فبينما نراه في قصة التاجر والبيغاء ماضياً في بيانه إذا هو يقول:

أفكر في القافية وحببي يقول: لا تفكر إلا في رؤيتي. اطمئن أيها المفكر في
القافية فأنت قافية السعادة أمامي. ما الحرف فتفكر فيه؟ إنه الشوق في
جدار البستان! إنني أمحق القول والحرف والصوت لأناجيك بغير هذه الثلاث،
أفشي إليك السر الذي أخفيته عن آدم يا سر العالم ... إلخ.

وكل هذا البيان، وكل هذا الفيض، وهذه الحُرقة، وهذا الوجد، يقصر عن تبيين ما
في نفسه، فيشكو هذا القصور بين الحين والحين، ويقف حائرًا صائحًا: إنَّ الذي أحسه
وراء الصوت والحرف بل وراء الأسماع والأفهام.

مجلش كفتم نه كردم من بيان ورنه هم أفهام سوزد هم بهان

قد أجملت وإلا احترقت الأفهام واحترق البيان.

٩

ولصاحب المثنوي مهارة وبراعة في تضمين الآيات والأحاديث والملاءمة بينها وبين الوزن بتغيير يسير، مثل قوله:

وز ملك هم بايدم جستن زجو «كل شيء هالك إلا وجهه»
بس عدم كردم عدم چون ارغنون گویدم: «إنا إليه راجعون»

وقوله في حديث الشيطان في غزوة بدر:

كه أخاف الله ما لي منه عون اذهبوا إني أرى ما لا ترون

وقوله في فاتحة المثنوي:

عشق جان طور آمد عاشقا طورمست «وخر موسى صعقا»

ومن تضمين الأحاديث:

كوش من «لا يلدغ المؤمن» شنيد قول بيغمبر بجان ودل كزيد
رمز «الكاسب حبيب الله» شنو أز توكل در سبب كاهل مشو

١٠

ويتخلل بعض فصول المثنوي أحياناً أشطار وأبيات عربية خالصة، ولا يخلو فصل من هذا الضرب، ويندر أن يتوالى بيتان أو ثلاثة.

ومن أمثلة الأبيات المفردة والشطور:

جملة كفتند أي حكيم باخبر
تاتواني دم مزن اندر فراق
وادخلوا الأبيات من أبوابها
الحذر دع؛ ليس يُغني من قدر
أبغض الأشياء عندي الطلاق
واطلبوا الأغراض في أسبابها

ومن الأمثلة القليلة ما جاء في الجزء الثالث أثناء قصة وكيل صدر بخارى:

غنّ لي يا مُنيّتي لحن النشور
ابلعي يا أرض دمعي قد كفى
عدت يا عيدي إلينا مرحباً
ابركي يا ناقتي تم السرور
اشربي يا نفس ورداً قد صفا
نعم ما رُوحت يا ريح الصبا

١١

وقد افتتح الكتاب بحديث الناي ووصفه مبيّناً عن أثره في نفسه، فجعل للناي بين المولوية مكانة وحرمة، وقد تُرجمت هذه الفاتحة إلى الإنكليزية باسم «أغنية الناي». وترجمتها إلى العربية منذ سنين، وهي خمسة وثلاثون بيتاً وهي:

استمع للناي غنّي وحكى
مُدْ نأى الغلبُ وكان الوطننا
أين صدرٌ من فراق مُزّقاً
من تُشَرِّده النوى عن أصله
كل نادرٍ قد رآني نادباً
ظن كلُّ أنني نعم السمير
إنَّ سرِّي في أنيني قد ظهر
ليس بين الروح والجسم حُجُبٌ
إن صوت الناي نارٌ لا هواء
هي نار العشق في الناي تنورُ
شفّه البين طويلاً فشكا
ملاً الناس أنيني شجنا
كي أثبت الوجد فيه حرّقا
يبتغي الرُّجعى لمغنى وصله
كل قوم تخذوني صاحباً
ليس يُدرى أيُّ سر في الضمير
غير أن الأذن كَلَّتْ والبصر
غير أن الروح عنّا تحتجب
كل من لم يصلها فهو هباء
وهي نار العشق في الخمر تفور

آنست هجراتنا أصواته
 من رأى كالنابي سماً ودواء؟
 حدّث النايُّ بأهوال الطريق
 أهل هذا الحسّ من لا حسّ له
 حارت الأيام في آلامنا
 فدع الأيام يذهب فدى
 كل ظمآن سوى الحوت ارتوى
 ما درى الخالي بحال المستهام
 اقطع القيد، تحرر يا فتى!
 إن تصبّ البحر في كوز فهل
 إن عين الحرص ليست تُملاً
 صدف البحر، تأمل واسمع
 من يمزق ثوبه العشق صفا
 مرحباً يا عشق يا خير أمل
 يا دواء منه تسمو روحنا
 ومن العشق، وأنّى يُحمل
 عشق الطور أجل قد عشقا
 لو تسنّى من صديق لي فم
 من يفارقه نجّي يفهم
 صمت البلبل عن ألحانه
 ميّت العاشق والمعشوق حي
 هو إن لم يُقدّر العشق له
 كيف أدري ما ورائي وأمام
 كم بصدري من معانٍ غاليه
 إن مرأتك غامت دنسا

مزّقت أستارنا نغماته
 من رأى كالنابي غمًا وعزاء
 وعن المجنون صبّاً لا يفيق
 أرهف السمع لهذي المعضلة
 ليس إلا النار في أيامنا
 وابق يا من أنت للقلب هدى
 من يفته الزاد أعياه المدى
 فلاقصّر من بياني والسلام
 يا أسيراً للهوى! حتى متى؟
 فيه إلا شرب يوم أو أقل
 ويحها مطروفة لا ترقأ
 لا يحوز الدرّ ما لم يقنع
 وزكا كالدرّ خلّى الصدفا
 يا طبيب النفس من كل العلل
 أنت جالينوس أو أفلاطناً
 رقص الطود وخفّ الجبل
 فهوى إذ «خرّ موسى صعقا»
 قلت كالنابي حديثاً أكتم
 فهو — مع ألف لسان — أبكم
 حين غاب الورد عن بستانه
 كلّ المعشوق والعاشق في
 طائر حصّ جناحاً ويله
 دون نور من حبيبي في الظلام
 لكن المرأة ليست حاكيه
 صدأ الطبع عليها طمسا

الديوان

وأما الديوان الذي سماه ديوان شمس تبريز وعُرفَ باسم ديوان شمس الدين التبريزي ففَقَّ آخر من النظام، هو قصائد متفرقة، كل واحدة مستقلة عن الأخريات، أعني أنها نظمت للإبانة عمَّا جال في ضمير الشاعر حين نظمها، واختير لها وزن خاص وقافية، ولم يُردُّ أن تكون مقدمة لمنظومة أخرى أو مكملَّة لها، وإن كانت المعاني متشابهة متقاربة أو متماثلة، وهي فيض في العشق والفناء وغيرها من المطالب العالية في نحو ستة وأربعين ألف بيت.

الفرق بين المثنوي والديوان أن الأول منظومة واحدة في وزن واحد وضرب واحد من التقفية، وفيها تعليم بين تفسير آية وشرح قصة وضرب مثل، وإن كان هذا كله متصلًا بمقصده الأخير: حب الله والفناء فيه، فجلال الدين في المثنوي أستاذ معلم مختلف الأساليب، يخاطب وينصح ويعظ، وينتقل بتلاميذه من فنٍّ إلى آخر، ويغلبه الوجد بين الحين والحين فيرتمي في البحر الذي لا يعرف سابعه أو غريقه ساحلاً.

وأما الديوان فهو كما أسلفنا قصائد قصيرة يغلب فيها فورة الشعر وخياله، فهو من هذه الناحية أعلى من المثنوي وأدق، وأدخل في الشعر. ويكثر فيه الرمز، ويجود فيه التصوير، ويُعنى كذلك بالصناعة اللفظية أحياناً، ويردِّف القافية ويلتزم ما لا يلزم. على حين يظهر في المثنوي كثيراً أثر الإملاء المرتجل والثورة التي لا تترتب للترتيب والإحكام.

وهذا مثال من الديوان يبين ما يكثر فيه من الرموز والإشارات من القصيدة التي مطلعها:

إين خانه كه بيوسته درو بانك جغانست

أز خواجه بپرسيد كه اين خانه چه خانست؟

... إلخ.

هذه الدار التي لا تفتقر فيها الألحان سل ربها أي دار هذه! إن كانت الكعبة فما صورة الصنم هذه؟ وإن كانت ديرَ المجوس فما هذا النور الإلهي؟ في هذه الدار كنز يضيّق به العالم، وإنما هذه الدار وهذا السيد (رب الدار) فعل وذريعة. لا تضع على الدار يدًا فما هي إلا طلسم، ولا تكلم السيد فقد أفنى الليل سكرًا. تراب هذه الدار وقمامتها مسك وعنبر وعطر. كل سطحها وبابها شعر وألحان. فمن وجد سبيلًا فيها فهو سلطان الأرض وسليمان الزمان.

أيها السيد أطلّ علينا من الشرفة مرّة فإن في خدك الجميل أمارة من الإقبال. أقسم بروحك أن ما عدا رؤية وجهك — ولو كان مُلك العالم — خيال وخرافة. تحير البستان أي ورق وأي زهر! وولعت الطير أي شبك وأي حب! هذا سيد الفلك كالزهرة والقمر، وهذي دار العشق لا حدّ لها ولا نهاية. حينما أخذت مرآة الروح صورتك في القلب تدلت في القلب طُرْتُكَ كالمشط. إن سكارى الله واحد وإن كانوا ألوفاً، وإن يكن من سكارى الهوى واحد فهو اثنان. اقتحم غاب الأسد ولا تخش الجراح؛ فإن الخشية والخوف ليسا من الرجولة. ليس هناك جراح. كل ما هناك رحمة ومحبة، ولكن وهمك حجاب خلف الباب. لا تُضرمِ النار في الغابة واصمت أيها القلب، أمسك لسانك فإنه لسان النار.

١٤

آراء جلال الدين

شرح جلال الدين آراءه في المسائل الفلسفية والصوفية والدينية والأخلاقية في أكثر من اثنين وسبعين ألف بيت، في المثنوي والديوان. ويتعذر على الباحث أن يُجمل آراءه ولو في المسائل الكبرى؛ فإن مسألة واحدة منها تحتاج إلى فصل أو أكثر، فقصارى المتكلم في مثل هذا المقام أن يعرض أمثلة من قوله في بعض المسائل، وأنا أعرض بعض أقواله في الروح وصلتها بالله، وحينئذ الدائم إلى موطنها الأول، وفي تطور الموجودات وفنائها في الله، ثم أعرض ناحية من فلسفته العملية فأبين رأيه في القضاء والقدر، والعمل في هذه الحياة. وأنا في هذا أعرض صورة واحدة من صور شتى لمسائل قليلة من مسائل كثيرة جدًا:

الروح من عالم آخر امتحنت بهذا السجن الأرضي، وهي تسمع النداء من تلك الديار كل حين.

يقول في الديوان:

كل حين نسمع صوت العشق من يمين وشمال. ها نحن أولاء ناهبين إلى
الفلك، فمن يريد تسريح النظر؟
كنا من قبلُ في الفلك، كنا أصدقاء المَلِك، وهناك نعود فتلك ديارنا.
والحق أننا أعلى من الفلك، وأنا أكبر من الملك، فلماذا لا نجتاز هذين؟ ألا
إن منزلنا الكبرياء.

أين عالم التراب؟ وأين الجوهر الطاهر؟ قد هبطنا وسنرجع فما هذا لنا
بمقام.

الخُدُّ الناضر رفيقنا، وبذل الروح عملنا، ودليل قافلتنا فخر العالم
المصطفى.

عَرَفَ هذا النسيم من ثنايا طرته، ولألاء هذا الخيال من ضحى غرّته.
قد انشق القمر من وجهه، فلم يستطع رؤيته؛ سعد القمر بهذا الجَد وهو
السائل الصغير، فانظر في قلوبنا كل لحظة شق القمر ...
جاء موج «ألسْت»^٦ فحطم سفينة القالب (البدن) وإذا حطمت السفينة
فهذه نوبة اللقاء.

الخلق كطير الماء، خُلِقُوا من بحر الروح، وكيف يسكن إلى المقام هنا طائر
ارتفع من ذلك اليم؟

بل نحن دُرٌّ من ذلك البحر، كلنا حاضر فيه، وإلا فما هذا الموج المتتابع
من أرواحنا؟ إنه وصل اللقاء، إنه حَسُّ البقاء، إنه اللطف والعطاء، بحر صفاء
في صفاء.

ارتفع موج العطاء، وسمع زخير البحر. تنفس صبح السعادة. لا، إنه
نور الله.

الفناء في الله

وهو يتحدث كثيرًا كما يتحدث كبار الصوفية عن فناء الإنسان، ويتكلم عن زوال الاثنينية،
وأمّحاء أنا وأنت، وهي فكرة شائعة في شعر ابن الفارض وغيره، ولكن جلال الدين يذكر
فناء العالم في الله سبحانه في صورة أخرى: يرى أن العالم يرقى إلى الله، حائلًا من جماد

إلى نبات إلى حيوان فإنسان فملك، ثم يفنى في الله، وقد ذكر بعض الصوفية كعبد الكريم الجيلي صاحب «الإنسان الكامل» ما يؤخذ منه أن الإنسان صلة العالم كله بالله، وهي فكرة جلال الدين في شكل آخر.

كرر هذا القول جلال الدين في المثنوي والديوان، يقول في قصة وكيل صدر بخارى في الجزء الثالث من المثنوي على لسان العاشق الذي لا يبالي بالموت:

أز جمادي مردم ونامي شدم ... إلخ.

صرت، إذ متُّ جمادًا ناميًا	متُّ نباتًا صرت حيا ساعيا
متُّ حيوانًا إذا بي بشر	كيف أخشى الموت ماذا أخطر
ثم أغدو مائتًا بين البشر	طائرًا في ملك لا أستقر
ليس لي إلا مسيرٌ نحوه	كل شيء هالك إلا وجهه
ثم أسمى طائرًا فوق الملك	ذاك فوق الوهم لا يخطر لك
ثم أفنى والفنا كالأرغنون	منشدي: إنا إليه راجعون

وقد كثر هذا في الديوان في القصيدة التي أولها:

هرنقش راکه ديدي جنسش زلامکانست
گرنقش رفت غم نیست أصلش چو جاودانست

قال:

قد وضع أمامك منذ جئت عالم الوجود سُلّم للخلاص، كنت جمادًا فصرت نباتًا، ثم صرت حيوانًا، كيف خفي هذا عليك؟
ثم صرت إنسانًا ذا عقل وعلم وإيمان، فانظر أي زهرة صار هذا الجسم الترابي؟
وإذا جاوزت الإنسان تصير — ولا ريب — ملكًا، فتترك هذه الأرض إلى السماء.

جاوَز الملكية أيضًا، وادخل ذلك اليم لتصير قطرتك بحرًا هو مائة بحر.

القضاء والقدر

وأما القضاء والقدر فجلال الدين يذهب فيه إلى الاختيار ويشدد على الجبرية:

اين چنين وآن چنان فردا كنم أين دليل اختيار ست أي صنم

قولك افعل هذا وذاك غدا دليل الاختيار أيها الصنم.

وقد حكى في الجزء الأول قصة الوحوش والأسد التي في كليلة ودمنة، فبدأها بمحاورة بين الأسد والوحوش في الجبر والاختيار وانتهى بالمحاورة إلى ترجيح الاختيار. وهذه القصة مترجمة في الفصول الآتية.

تتجلى عظمة جلال الدين في المناذاة بالاختيار، وحفز الناس إلى العمل والمسير قُدماً، بل هو يرى أن الحياة جهاد مستمر لا ينبغي أن يسكن المجاهد فيها ساعة. يقول في المثنوي في قصة التاجر والبيغاء:

الغريق يجهد نفسه ويضرب يده على كل عشبة لعلها تنقذه من الخطر.
والحبيب (الله) يحب هذا الاضطراب، وإن الجهد الذاهب سدى خير من النوم.

إن الملك نفسه ليس فارغاً من العمل، ولهذا قال الرحمن: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾. اكدح في هذا الطريق واجهد، ولا تفرغ ساعة، حتى الساعة الأخيرة.

والألم عنده وسيلة للذة، والبكاء سبب الضحك: «كيف يضحك المرح إذا لم يبك الربيع؟ وكيف ينال الطفل اللبن بغير بكاء» والعناء أحرى، والكد أنفع. ورجل الطريق أو رجل الله يلقى الخير والشر واللذة والألم راضياً مقدماً موقناً أنه بالألم يكمل ويرقى حتى يبلغ غايته. يقول في المثنوي:

إن مكروهه محبوب في نفسي. فدئى روحي للحبيب المعذب قلبي، أنا عاشق
نصبه وألمه. إنني أكحل عيني بتراب الغم ليمتلئ بحر العينين بالجواهر. إن
الدموع التي تمطرها العين في سبيله جوهر يحسبه الناس دمعاً.

ويقول:

ذاك المكروه الذي يصيبني به غاضباً أكثر إطراباً من الرباب، يا من جفاؤه أحسن من السعادة، وانتقامه أحب من الروح، هذه نارك فكيف نورك؟ وهذا ماتمك فكيف العرس؟ أنوح وأخشى أن يستمع لنواحي فيخفف عني هذه الشدة كرمًا، إنني عاشق قهره ولطفه، فاعجب لعاشق الضدين. والله لئن جاوَزَ هذا الشوك إلى البستان لأنوحنَّ نواح البلبل. اعجب لبلبل يفتح فاه ليأكل الشوك والورد! أي بلبل هذا؟ إنه تنين ناري يحبب إليه العشق كل مكروه، هو عاشق الكل وهو الكل نفسه، هو عاشق نفسه وطالب عشق نفسه.

بل يرى أنَّ هذا النواح من الأرواح المجاهدة مناجاة دائمة ورقي مستمر يقول:

حين ينوح بغير شكوى ولا شكر، تضج له السموات السبع. له كل حين مائة نوحه، ومن الله مائة رسالة. منه يا رب مرة، ومن الله سبعون لبيك. وله كل لحظة معراج خاص، ولرأسه مائة تاج خاص. صورته على الأرض، وروحه في لا مكان، لا مكان لا يدركه وهم السالكين.

تلکم قطرة من بحر جلال الدين، وشرارة من ناره، وبصيص من نوره. ومثل هذا الفيلسوف ينبغي أن تذاع فلسفته، لقد أثرت هذه الفلسفة الإسلامية في رجال عصرنا فجعلته شاعر القوة والحياة في الهند، وحسبه الناس سائرًا على أثر فلاسفة أوروبا ولكنه قال عن نفسه: إنه أثر من جلال الدين، فما أجدر جلالاً أن يخرج للمسلمين في كل جيل مثل شاعر الهند محمد إقبال.

هوامش

(١) أهدى إليك القسم السادس في تمام المثنوي فأضيء الجهات الست من هذه الصحف الست ... إلخ.

(٢)

كشت از جذب چو تو علامه اي در جهان كردان حسامي نامه اي

(٣) كلمة لب بالفارسية تدل على شفة الإنسان وعلى شاطئ البحر.

فصول من المتنوي

- (٤) يعني أفلاطوننا فاختصرت أفلاطون إلى أفلاط وأضيفت إلى نون المتكلمين.
- (٥) الأصل والعاشق ستر أو حجاب.
- (٦) إشارة إلى الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ﴾.

فصول من المتنوي

ترجمت قصة البيغاء والتاجر وقصة الأسد والأرنب من الجزء الأول من المتنوي، ومقدمة الجزء الثالث من الكتاب عينه، ترجمت الأولى منظومة والأخرين منشورتين. وقد ترجمت هذه الفصول كما هي دون حذف أو تغيير، أردت أن أنقل إلى قارئ العربية صوراً صادقة من هذا الكتاب، فلم أثبت أبياتاً وأدع أخرى، مختاراً الأبيات البليغة والصور الجميلة، ولكن ترجمت الفصل كله جيده ووسطه ورديئه، واضحه وغامضه، مؤثراً أن يَطَّلِع قاري العربية على ما يطلع عليه قارئ الفارسية في فصول هذه المنظومة العجيبة.

ولعلِّي أترجم من بعدُ مختارات من هذا الكتاب تكون أقرب إلى فهم القارئ واستحسانه، إن شاء الله.

وقد لقيتُ عناءً في الترجمة المنظومة؛ لأن المترجمَ ناظماً مقيدٌ بحدود المعنى في الأصل، وقيود النظم في الترجمة، ولأن بعض المفردات والجمل جاءت في الأصل عربية فلم أستحسن تغييرها، وربما لاءم اللفظ العربي ألفاظاً فارسية يتم بها النظم في الأصل ولم يلائم ألفاظاً عربية تؤدي معنى هذه الألفاظ الفارسية. فكان عليَّ أن أحتال لإدخال الألفاظ العربية في النظم ثم التزام ترجمة بيت ببيت، على ما في ألفاظ اللغتين وقواعدهما من اختلاف بين زاد الترجمة صعوبة، ولم أترجم بيتاً ببيتين إلا مرتين أو ثلاثاً في هذا الفصل المنظوم.

وقد حاولت جهد الطاقة أن أحافظ على معاني الأصل جملته وتفصيله في الترجمة كلها منشورها ومنظومها إلا ما تضطر إليه أساليب البيان العربي أو يستعصي على النظم.

قصة التاجر والبغاء

خلاصة هذه القصة أن تاجرًا كان لديه ببغاء جميلة فصيحة وأزمع السفر إلى الهند للتجارة، فقال لأولاده وخدمه: ليقترح كُلُّ من يشاء من هدايا الهند. فاقترح كل واحد ما أحبَّ، وسأل الببغاء: ما تريدان؟ فقالت: إذا بلغت الهند ورأيت أسراب الببغاء فأبلغهن عني ما ألقى من عناء في الحبس، وأبلغهن عتبي بما نسينني ونَعِمَن بالعيش في الغابات على غصون الأشجار.

فلما أبلغ التاجر هذه الرسالة إلى ببغاوات الهند ارتعدت إحداهن وخرَّت ميتة. فلام التاجر نفسه على إبلاغ رسالة لم يعرف عواقبها. ولما رجع إلى بلده أدَّى الهدايا التي وعد بها، وسألته الببغاء عن رسالتها، فأبان عن أسفه وندمه وقصَّ عليها ما رأى، فإذا هي تنتفض وتخر ميتة كذلك. فحزن التاجر على الببغاء الجميلة، ورجع يلوم نفسه على التكلم بما لا يدرك عاقبته، ويندب ببغاه التي كانت أنسه ومتعته.

ثم أخذها من القفص ورمى بها، فإذا هي تطير وتقف على غصن شجرة. فدهش الرجل وسألها عن هذه الأعجوبة. فقالت له: هذه هي الرسالة التي رجعت بها من الهند، فقد أشارت الببغاء التي خرَّت أمامك هامة هناك بأن أفعل فعلها وأموت موتها، لأخلص من الأسر الذي أعانيه ... إلخ.

وبين أن جلال الدين جعل الببغاء مثلًا للروح الإنسانية وبلاد الهند مثلًا لعالم الأرواح، وجعل الموت كناية عن الرياضة الصوفية التي يخلص بها الإنسان من أهوائه وشهواته؛ فينال الطمأنينة وينجو من العناء والقلق.

وسيرى القارئ الاستطرد الطويل في أثناء القصة، سُنَّة جلال الدين في كتابه، يتخذ القصة ذريعة إلى مقاصده غير مُبالٍ بسياق القصص كما قلت من قبل.

قصة التاجر الذي حملته ببغاؤه رسالة إلى ببغاوات الهند وهو ذاهب إليها للتجارة

تاجر كان لديه ببغاء
أزعم التاجر هجران ألحصر
قال للأسرة ماذا يُرغب
قال كلُّ عن هواه مُعرباً
سأل الببغاء ماذا تبتغين؟
فأجابته: إذا نلت منك
أنني، والشوق في قلبي استعزُّ
قد حواها قفص، ذاتُ رواء
ولأرض الهند قد رام السفر
من هدايا الهند؟ إني ذاهب
فسخاً بالوعد سمحاً طيباً
من ديار الهند ماذا تشتهين؟
نكّرُن بي ببغاواتِ هناك:
في بلاء الحبس ألقاني القدر

قصة بازرگان كه طوطئ محبوس أو أورا پیغام داد بطوطیان هندوستان هنگام رفتن بازرگان بتجارت

بود بازرگان وأورا طوطئ
چونکه بازرگان سفررا سازکرد
هر غلام وهر کنیزک رازجود
هر یکی از وی مرادی خواست کرد
گفت طوطی را چه خواهی ارمغان؟
گفتش آن طوطی که آنجا طوطیان
کان فلان طوطی که مشتاق شماس
در قفص محبوس زیبا طوطئ
سوی هندستان شدن آغازکرد
گفت بهر تو چه آرم؟ گوی زود
جمله را وعده بداد آن نیک مرد
کارمت از خطه هندوستان
چون ببینی کن زحال من بیان
از قضای آسمان در حبس ماست

قُلْ حَمَلْتُ الْعَتَبُ مِنْهَا وَالسَّلَامُ
كَيْفَ يَرْضِيكَ أَنْي فِي اشْتِيَاقِ
وهي تستهدي سبيلاً للسلام
أسلم الروح وأودي بالفراق

أمن الإنصاف أني في سقر؟
 أكذا يُلْفَى وفاء الأصدقاء؟
 إيه يا سادة! فاذكُرن الجريح
 ذكرُ الأحبابِ يمنُّ للمحبِّ
 يا ندامى دُميَّة في مَرَحٍ
 أشربن كأساً على ذكرى الكسير
 ولكنَّ العيش في خُضر الشجر
 ذاك في سجن وهذا في رخاء
 في ظلال المِرج إِبَّان الصبوح
 سيِّما ليلي ومجنون سُلِبُ
 إنني أسقى دمي في القدح
 إن تردَّ إنصاف ذا المضني الأسير^١

برشما کرد او سلام وداد خواست
 گفت مي شاید که من در اشتیاق
 این روا باشد که من در بند سخت
 اینچنین باشد وفای دوستان
 یاد آرید اي مهان زين مُرغ زار
 یاد یاران یار را میمون بوَد
 إي حریفانِ بت موزون خود
 يك قدح مي نوش کن بریادمن
 وز شما چاره وره إرشاد خواست
 جان دهم اینجا بمیرم در فراق
 که شما بر سبزه گاهي بردرخت
 من درین حبس وشما درکلستان
 يك صبوحی درمیان مَرغزار
 خاصه کان لیلی واین مجنون بوَد
 من قدحها میخورم پرخون خود
 گر همي خواهي که بدهي داد من

أو بذكري مدنفٍ حلف عذاب
 أين هذا العهد أين القسم؟
 إن يكن عبدك بالبُعدِ أساء
 إنَّ ما ينزل منك الغضبُ
 إنَّ خيرًا من رخاء شدتك
 إنَّ في جورك ما لا يُعرف
 هذه نارک، أنى نورکا؟
 نائح غمًا وأخشى كرمه
 فاسكبني لي جرعة فوق التراب
 وعودٌ من شفاهِ تبسمُ
 فهل الفضل قصاص وجزاء؟^٢
 هو من رجع المثنائي أعذبُ
 ومن الأرواح أحلى نقمتك
 من لذات وما لا يُوصف
 وكذا المأتم أنى عرسكا؟
 أن يقلَّ اللطفُ عني ألمه

چونکه خوردي جرعه برخاء ريز
وعدهاي آن لب چون قند کو
چون تو بابد، بد کنی پس فرق چیست؟
با طرب تر از سماع وبانگ چنگ
وانتقام توزجان محبوبتر
وز لطافت کس نیا بد غور تو
ماتم این تاخود که سورت چون بود؟
وز کرم آن جور را کمتر کند

يا بياد اين فتاده خاك بيز
أي عجب آن عهد وآن سوکند کو
گر فراق بنده از بد بندگیست
آن بدی که توکني درخشم وجنگ
اي جفای تو زدولت خو بتر
از حلاوتها که دارد جور تو
نار تو نیست نورت چون بود؟
نالم وترسم که او باور کند

أعشق الضدين هذا عجبُ
نحْتُ كالبلبل أبدي حسرتي
يأكل البستان والشوك معاً
في جَواه كل مكروه يُحِب
عاشق النفس ويبيغي عشقه

لطفه والقهر عندي مُطرب
إن أجزت الشوك نحو الجنة
عجباً من بلبل قد جشعاً
بلبلٌ؟ لا! ذاك تَنِينُ اللهب
عاشق الكل وعين الكل هو

بو العجب من عاشق این هر دو ضد
همچو بلبل زین سبب نالان شوم
تاخورد او خار را با گلستان
جملة نا خوشها زعشق اورا خوشست
عاشق خویشست وعشقِ خویش جو

عاشقم بر قهر وبر لطفش بجد
والله أر زین خار دربستان شوم
این عجب بلبل که بکشاید دهان
این چه بلبل این نهنک آتشست
عاشق کُست و خود کُست او

صفة أجنحة طيور العقول الإلهية

ببغاء الروح هذا المثل
طائرٌ طُهرُ يرى غير شديد
إن يُنح في غير شكر أو بكاء
من لسرّ الطير فينا يعقل؟
كامن فيه سليمانُ الجنود
هزت الآهاتُ أطباق السماء

صفت أجنحة طيور عقول إلهي

قصه طوطئ جان زينسان بود
كويكي مرغ ضعيف بي گناه
چون بنالد زار بي شكر وکله
كوكسي كومحرم مرغان بود
واندرون او سليمان با سپا
افتد اندر هفت كردون غلغله

* * *

كل حين عنده منه كتاب
ذنبه خير من البر يرى
كل أن يرتقي معراجَه
روحه في لا مكان وهو طين
لا مكان ليس مما تفهم
بل لديه لا مكان ومكان
عد عن هذا وأقصر في الخطاب
نرجع الآن حديث التاجر
منه يا ربّي، ولبيك الجواب
كفره يعدل إيمان الوري^٢
كل أن يتلقّى تاجه
لا مكان فوق وهم السالكين
لك منه كل حين وهم
مثل أنهار لدى أهل الجنان^٤
لا تقل. والله أعلم بالصواب^٥
تاجر الهند وهذا الطائر

هر دمش صد نامه، صد بيك از خدا
ذلت أو به زطاعت نزد حق
هر دمي اورا يكي معراج خاص
يا ربي زو، شصت لبيك از خدا
پيش كفرش جمله ايما نهاي خلق
بر سر تاجش نهد صد تاج خاص

صورتش برخاک و جان برلا مکان
لا مکانی نی که در فهم آیدت
بل مکان ولا مکان در حکم او
شرح این کوته کن ورخ زین بتاب
باز می کر دیم ما ای دوستان
لا مکانی فوق وهم سالکان
هر دمی از وی خیالی زایدت
همچو در حکم بهشتی چاز جو
دم مزن والله أعلم بالصواب
سوی مرغ و تاجر هندوستان

رؤية التاجر ببغاوات الهند وإبلاغ رسالة تلك الببغاء

ورأى التاجر من بعد العناء
وقف الركب ونادى عَجَلًا
فإذا واحدة تنتفض
ندم التاجر مما وصفا
علها أخت لتلك الفاردة
لم أرسلت كلامًا ذا ضرر؟
ولسان المرء زَند وحجر
في بلاد الهند سرب الببغاء
وأناها مُبلغًا ما حُملاً
ثم تهوي ميئة لا تنبض
قال: قد أهلكت نفسًا، أسفا
رُبَّ جسمين لروح واحدة
أُحرق الطائر من هذا الخبر
يستطير اللفظ منه كالشرر

دیدن خواجه طوطیان هندستانرا دردشت و پیغام رسانیدن ازان طوطی

چونکه تا اقصای هندستان رسید
مركب استانیید پس آواز داد
طوطی زان طوطیان لرزید بس
شد پیشیمان خواجه از گفت خبر
این مگر خویش است با آن طوطیک
این چرا کردم چرا دادم پیام
این زبان چون سنک وهم آهن و شست
در بیابان طوطی چندی بدید
آن سلام و آن امانت باز داد
اوفتاد و مرد و بکستش نفس
گفت رفتم در هلال جانور
این مگر دو جسم بود و روح یک
سوختم بیچاره را زین گفت خام
وانچه بجهد از زبان چون آتشست

فاخراً أو ناقلاً، لا تستبين
فاحذر النيران في الليل البهيم
مُغمضين العين، بنس المنطق
صير الثعلب ميئاً، ضيغماً
وهي في الأصل كعيسى نفساً
إن يزل عنها حجاب أطبقاً
فدع الحرص وذي الحلوى اهجر
وإلى الصبر طِماح العقلاء
وحليف الصبر يجتاز السماء

احذر القدح جُزافاً كل حين
ظلماتٌ وحواليك هشيم
أحرق العالم قومٌ نطقوا
رب لفظ عالماً قد هدماً
هذه الأرواح جُرح أو إسي
كل روح مثل عيسى خُلِقاً
إن تُرد قولاً مثيل السُّكَّر
يأسر الأطفال للحلوى اشتهاً
أكل الحلواء يخطو للوراء

که ز روی نقل وکه از روی لاف
درمیان پنبه چون باشد شرار
زان سخنها عالمی را سوختند
روبهان مرده را شیران کند
یکزمان زخمند وگاهی مرهند
گفت هر جانی مسیح آسا ستي
صبر کن از حرص وین حلوا مخور
هست حلوا آرزوي کود کان
هر که حلوا خورد واپس تررود

سنگ و آهنرا مزن برهم گراف
زانکه تاريك است وهرسو پنبه زار
ظالم آن قومي که چشمان دوختند
عالمي را يك سخن ويران کند
جانها در صل خود عيسى دمنند
گر حجاب ازجانها برخاستي
گر سخن خواهي که گويي چون شکر
صبر باشد مشتهاي زيركان
هر که صبر آورد کردون بر ردو

تقرير قول فريد الدين العطار رضي الله عنه

(أسير النفس مت غمًا فمئك بالهوى يردى)
وربُّ القلب إن يأكل سموماً تنقلب شهداً)

صاحبُ القلبِ عجيبُ في البشرُ
يأكلُ السمَّ عيانًا لا يُضَرُّ
جاوَزَ الحميةَ إذ صحَّ البدنُ
إذ ترى الطالبَ للحمى سَگَن
قال للطالب خیر الأنبياء:
«احذرنُ في كل ما تبغي المرء»^٧
فيك نمروديَّة لا تخدَعَن
لا تخض نارًا أو ابراهيمَ کُن
لست سبَّاحا ولا جُبت البحور
لا يطوِّح بك في اليمِّ الغرور

تقرير شيخ فريد الدين عطار قدس الله روحه العزيز

«تو صاحب نفسي أي غافل میان خاک خون میخورد
که صاحب دل اگر زهري خورد آن انکبین باشد»
صاحب دلراندارد آن زیان
گر خورد او زهر قاتل را عیان
زانکه صحت یافت وز پرهیز رست
طالب مسکین میان تب درست
گفت بیغمبر که ای طالب جری
هان مکن باهیج مطلوبی مری
در تو نمرودیست در آتش مرو
رفت خواهی اول ابراهیم شو
چون نه سبَّاح و نی دریائی
در میفکن خویش از خود رائی
او ز آتش ورد اُحمر آورد
او ز قعر بحر گوهر آورد

يمسك الكامل في الترب النضارُ
يُقبِلُ الله عليه ينجدهُ
ويد الناقص للشيطان يدُ
يقلب الكامل جهلاً معرفهُ
علّةٌ يصبح ما مسّ العليل
تتحدى فارساً يا راجلُ
ويرد الناقصُ التبر العُبار؟
فيد الرحمن في الأمر يدُه
في حبال المكر والغدر يُشدُ
ويردُ الناقص العلم سفهه
ويصير الكفر ديناً للكميل
فتلبّث للردى يا جاهلُ

كاملی کرخاک گیرد زر شود
چون قبول حق بود آن مرد راست
دست ناقص دست شیطانست و دیو
جهل آید بیش او دانش شود
هر چه گیرد علتی علت شود
ای مری کرده پیاده باسوار
ناقص از زر بُرد خا کستر شود
دست او در کارها دست خد است
زانکه اندر دام تکلیفت و ریو
جهل شد علمی که در ناقص رود
کفر گیرد کاملی ملت شود
سر خواهی برد اکنون پای دار

تعظیم السحرة موسى وقولهم: «إما أن تلقى وإما
أن نكون نحن الملقين.» وقول موسى: «بل ألقوا.»^٨

ساحرو فرعون في ماضي العصور
غير أن القوم أعلوا قدره
حين قالوا ما تراه نفعلُ
قال موسى: فابعدوا يا ساحرون
فاشترى التعظيمُ دين الساحرين
إذ رأوا برهان موسى قد علا
لقمة الكامل والنكتة جِلُ
جادلوا موسى بحقدٍ في الصدور
قدّموه وأطاعوا أمره
ألقِ إن شئت فأنت الأولُ
وأروا من سحرکم ما تمکرونُ
ومحا عنهم مرء الجاحدين
أخطروا أيديهم والأرجلا
فاتركن هذين إن لم تکتمل

تعظيم ساحران مر موسى عليه السلام كه چه فرمائي، اَوَّل تو اُنْدازي عصا يا ما؟ موسى عليه السلام گفت ني اَوَّل شما

چون مري کردند با موسى بکين
ساحران اورا مکرم داشتند
گره‌مي خواهي عصا بفکن نخست
افکنيد آن مکرها را در ميان
کز مري آن دست و پاهاشان بُريد
دست و پا در جرم آن در باختند
تونه کامل مخورمي باش لال

ساحران در عهد فرعون لعين
ليک موسى را مقدم داشتند
زانکه گفتندش که فرمان آن تست
گفت ني اَوَّل شما اي ساحران
اين قدر تعظيم دينشانرا خريد
ساحران چون حق او بشناختند
لقمه ونکته ست کاملرا حلال

قال للآذان ربّي: أنصتوا^۹
كلّهُ في ذلك الحين اُذُنُ
منصتًا كيما يُواتي المنطقُ
وثوى في الناس دهرًا أبگما
كيف يُلفى النطق من حيلته
فاطلب المنطق من هذا السبيلُ
واطلبوا الأغراض في أسبابها^{۱۰}
غيرُ رب العالمين المبدع

ذا لسان، أتت اُذُنُ تُنصت
انظر الطفل رضيعًا لم يُبين
ثم يبقی مدة لا ينطقُ
وإذا لم يُزعِ سمعًا تمتما
والذي قد صمّ في خلقته
ليس إلا السمعُ للنطق دليلُ
وادخلوا الأبيات من أبوابها
ليس يَغنى نطقه عن مَسْمَع

کوشهارا حق بفرمود انصتوا
مدّتي خامش بود او جمله کوش
از سُخن تا او سخن آموختن
خويشتن را کنک کيتي ميکند
لال باشد کي کند در نطق جوش

چون توکوشي او زبان ني جنس تو
کودک اَوَّل چون بزاید شيرنوش
مدتي مي بايدش لب دوختن
ور ندارد کوش تي تي ميکند
کر اصلي نبود از آغاز کوش

زانکه اول سمع بايد نطق را
 وادخلوا الأبويات من أبوابها
 سوى منطلق از ره سمع اندرأ
 واطلبوا الأغراض في أسبابها
 جز كه نطق خالق بي طمع نيست

مبدع الخلق ولا أستاذ له
 من عداه في فعال ومقال
 إن تكن أهلاً لهذا الكلم
 آدم نجاه دمع نادم
 هجر الفردوس والسبع العوال
 آدمياً إن تكن، من صلبه
 لك نار القلب والدمع غذاء
 عاشق الخبز وخذن الغافلين!
 مسند الكل ولا إسناد له
 تابع الأستاذ محتاج المثال
 فالزم الدلق ودمع الندم
 نفس الثواب دمع ساجم
 يطلب العفو، إلى صف النعال
 فالزم السعي وكن من حزبه
 نصر البستان من شمس وماء
 كيف تدري لذة الدمع المعين؟

مبدعست او تابع أستاذ نيست
 باقياں هم در حرف هم در مقال
 زين سخن گر نيستي بيگانه
 زانکه آدم زان عتاب از اشك رست
 آدم از فردس واز بالاي هفت
 گر ز پشت آدمي وز صلب او
 ز آتش دل وآب ديده نقل ساز
 توجه داني ذوق آب ديدكان
 مسند جمله ورا إسناد نيست
 تابع أستاذ ومحتاج مثال
 دلوق واشكي گير در ويرانه
 اشگ تربا شد دم توبه پرست
 پاي ما چان از براي عذر رفت
 در طلب مي باش هم در طلب او
 بوستان از ابروخورشيد ست باز
 عاشق ناني توچون ناديدكان

خل مخلاتك من هذا الطعام
 تمتلئ دُرّاً من الدر العظام

<p>تَشْرِكُ الْأَمْلاكِ فِي قَرَبِ الرَّحِيمِ إِنْ تَكُنْ فَظًّا غَلِيظًا مَظْلَمًا حِينَما يَأْتِي بِها الكَسْبُ الحِلالِ وَهُوَ إِنْ يَطْفَأُ بِهَ المِصْبَاحِ ماءً يُكْسِبُ الرِّقَّةَ حِلَّ اللِّقْمَةِ^{١٢} وَهُوَى مِنْ لِقْمَةِ فَهِيَ حِرام^{١٣}</p>	<p>وَافْطَمَنَّ رُوحَكَ مِنْ دَرِّ الرَّجِيمِ أَنْتَ لِلشَّيْطَانِ جِدْنُ فَاعْلَمَا إِنما اللِّقْمَةُ نُورٌ وَكَمالِ إِنما الزَّيْتُ الَّذِي يُذَكِّي الضِّياءَ يَلِدُ الحِكمَةَ حِلُّ اللِّقْمَةِ وَإِذا يُولَدُ حَقْدٌ وَخِصامِ</p>
---	---

<p>پر ز گوهر هایِ إجلالی کنی بعد از آنش با مَلَكِ انباز کن دانکه بادیو لعین همشیره آن بود آورده از کسبِ حلال آبِ خوانش چون چراغی را کُشد عشق ورقت زاید از لقمه حلال جهل و غفلت زاید انرادان حرام</p>	<p>گر تواین انبان زنان خالی کنی طفل جان از شیر شیطان بازکن تاتو تاریگ و ملول و تیره لقمه کونور افزود و کمال روغنی کاید چراغ ما کُشد علم و حکمت زاید از لقمه حلال چون ز لقمه تو حسد بینی و دام</p>
--	---

<p>أَمِنْ الخَيْلِ تَرى نَسْلَ الحَميرِ؟ وَهِيَ بَحْرٌ وَلا لِيَهَ الفِكرِ طاعَةَ اللّهِ وَحَبَّ الأَخرَةِ فأبِنُ لِي ما حَدِيثُ التاجِرِ</p>	<p>أَمِنْ البُرِّ نَما حَبُّ الشَّعيرِ؟ بَذرُ اللِّقْمَةِ وَالفِكرُ ثَمَرُ تَلدُ اللِّقْمَةُ جِلاً طاهِرَةً ذَا حَدِيثٍ ما لَه مِنْ آخِرِ</p>
--	--

<p>دیده اسبی که گره خردهد لقمه بحر و گوهرش اندیشها میل خدمت، عزم رفتن آن جهان بحث بازرگان و طوطی را بیان</p>	<p>هیج کندم کاری و جو بردهد لقمه تخمست و برش اندیشها زاید از لقمه حلال اندر دهان این سخنرانیست پایان کن همان</p>
---	---

قَصص التاجر على البيغاء ما رآه من بيغاوات الهند

فرغ التاجر مما دبرا
منح الغلمان ما قد وعدا
قالت البيغاء أين الوعد أين؟
قال لا، لا إن حسبي ألمّا
لم حُمَّلتُ بجهلي مألُكة
فأجابت سيدي! فيم الندم
قال قد بَلَّغْتُ شكواكِ إلى
أدتِ القصةُ منها واحدةً
وانثنى يحمد هذا السفرا
والجواري بالهدايا رَفدا
قُصَّ لي ما قد وَعَتُ أُذُنٌ وَعَيْنٌ
عَضُّ كَفِّي وبناني ندما
فَجَّةٌ فيها لغيري تَهْلُكَةُ؟
ما الذي أدك من سُخْطٍ وغم؟
سرب أطيارك في ذاكِ الفلا
أُرْعِدَتْ حزنًا وخرَّتْ هامةً

باز گفتن بازرگان باطوطي آنچه دید از طوطیان هندوستان

کرد بازرگان تجارت را تمام
هر غلامی را بیاورد ار مغان
گفت طوطی ار مغان بنده کو
گفت نی من خود پشیمانم ازان
من چرا پیغام خامی از گزاف
گفت ای خواجه بشیمانی زچيست
گفت گفتم آن شکایتهاي تو
آن یکی طوطی زدردت بوی برد

باز آمد سوی منزل دوست کام
هر کنیزک را ببخشید او نشان
آنچه دیدی وانجه گفתי باز کو
دست خود خایان وانکشتان کزان
بردم از بی دانشی واز نشاف؟
چیست آن کین خشم وعم را مقتضیست
با گروه طوطیان همتاي تو
زهره اش بدرید ولر زید وبمرد

فدهانی اَسَف من ذا وهَمَّ
رُبَّ لَفْظٍ من لسانٍ قد طَفَّرُ
کیف یجدي، بعد أن قلتُ، الندم؟
مثل ما يَنْبِضُ بالسهم الوتر

أَوْ يُصَدُّ السَّيْلُ بَعْدَ الْمَحِيسِ
 وَدَهَا النَّاسَ بِلَاءٌ عَمَّا
 لَيْسَ لِلنَّاسِ عَلَيْهِنَ يَدٌ^{١٤}
 وَهِيَ خَلَقَ اللَّهُ طُرًّا فَاعْجَبُوا
 فَأَصَابَ السَّهْمَ عَمْرًا دَامِيًا
 يَخْلُقُ الْأَوْجَاعَ رَبِّي لَا الْبَشَرَ

لَا يُرَدُّ السَّهْمُ نَحْوَ الْأَقْوَسِ
 إِنْ يَجَاوِزُ سَدَّهُ السَّيْلُ طَمَى
 تَبَعَاتِ الْفِعْلِ غَيْبًا تَوَلَّدُ
 نِي الْمَوَالِيدُ إِلَيْنَا تَنْسَبُ
 إِنْ غَدَا زَيْدٌ لِعَمْرٍو رَامِيًا
 وَإِنْ الْجَرْحُ إِلَى الْحَوْلِ اسْتَمَرَ

ليك چون گفتم پشیمانان چه سود؟
 همچو تیری دانکه جست او از کمان
 بند باید کرد سلی را زسر
 گرجهان ویران کند نبود شکفت
 وان موالیدش بحکم خلق نیست
 آن موالیدار چه نسبتشان بماست
 عمرو را بگرفت تیرش همچو نمر
 درد هارا آفریند حق نه مرد

من پشیمان کشتم این گفتن چه بود
 نکته کان جست ناکه از زبان
 وانکرده از ره آن تیر ای پسر
 چون گذشت از سر جهانی را گرفت
 فعل را در غیب اثرها زاد نیست
 بی شریکی جمله مخلوق خداست
 زید پرانید تیری سوی عمرو
 مدتی سالی همی زایید درد

وَبَقِيَ عَمْرٍو جَرِيحًا لِلْأَجْلِ
 سَمٌّ زَيْدًا قَاتِلًا فَهُوَ سَبَبُ
 وَهُوَ صَنَعَ اللَّهُ جَلَّتْ قَدْرَتُهُ
 نِي الْمَوَالِيدُ إِلَى الْحَقِّ تُرَدُّ
 يَرْجِعُونَ السَّهْمَ عَنْ وَجْهِهِ
 مِنْهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَا عَجَبُ
 يَجْعَلُ الْقَوْلَ كَأَنْ لَمْ يُقَلِّ^{١٥}
 مَاحِيًا مِنْ كُلِّ قَلْبٍ مَا وَعَى
 فَاقْرَأَنَّ «مِنْ آيَةِ أَوْ نَسْهًا»^{١٦}

زید الرامی إذا أردی الوجْلُ
 مات عمرو من موالید الوصْبُ
 وَجَعِ السَّهْمِ إِلَيْهِ نَسْبَتُهُ
 وَكَذَا صَيْدٌ وَزَرْعٌ وَوَلَدٌ
 أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ قَدْرَتِهِ
 وَقَفُوا دُونَ الْمَوَالِيدِ السَّبَبُ
 هُوَ بِالْعِلْمِ وَلَطْفِ الْحَيْلِ
 سَالِبًا مِنْ سَامِعٍ مَا سَمِعَا
 إِنْ تُرِدَ مِنْ حِجَّةٍ تَدْلِي بِهَا

درد هامی زاید انجا تا اجل
 زید را ز اول سبب قتال گو
 گرچه هست آن جمله صنع کرد کار
 آن موالید ست حقرا مستطاع
 تیر جسته باز کردند ز راه
 چون بشیمان شد ولی زان دست رب
 که ازان نی سیخ سوزد نی کباب
 آن سخن را کرد محو ونا پدید
 باز خوان: من آیه او نُنسها

زید رامی آن دم ار مرد از وجل
 زان موالید وجع چون مرد او
 آن وجعها را بد ومنسوب دار
 همنچین کِشث ودم ودام وجماع
 اولیا را هست قدرت از إله
 بسته در های موالید از سبب
 گفته نا گفته کند از فتح باب
 از همه دلها که آن نکته شنید
 گرت بُرهان باید وحجّت مهاء

قدرة الإنساء فيهم. لا تحل^{١٧}
 فقلوب الناس تقفو أمرهم
 عجز الفاعل مهما مهرا
 فاقروا في الذكر قد «أنسوكمو»^{١٨}
 صاحب الأرض جسوما يملك
 إنما الإنسان إنسان البصر
 قد حماني القول أهل المركز

واقرأن «أنسوكمُ نكري» وقل
 قدرة النسيان والذكرى لهم
 وإذا النسيان عاق النظرا
 (خلتمو سخرية أهل السمو)
 صاحب القلب على القلب ملك
 عمل الإنسان فرغ للنظر
 حسبي القول، بهذا أجتزي

قدرت نسیان نهادن شان بدان
 برهمه دلهاي خلفان قاهر ند
 کارنتوان کرد ور باشد هنر
 از نُبی خوانید تا آنسوکم
 صاحب دل شاه دلهاي شماس
 پس نباشد مردم الا مردمک
 منع می آید زصاحب مرکز

آیت انسوکم نكري بخوان
 چون بتذکیر وبه نسیان قادر ند
 چون بنسیان بست او راه نظر
 خلتمو سخرية أهل السمو
 صاحب ده پاد شاه جسمهاست
 فرع دید آمد عمل بی هیچ شک
 من تمام این نیارم گفت ازان

* * *

إن يكن نسيانُهم أو نكرهمُ
فهو يمحو الكُثر من خير وشر
يملاً الألباب منها بالنهار
تُدرك الأرواح من أفكارها
تفتح الأسباب أبواباً عليك
ليس يعطى القَيْنُ صنعَ الصائغ
وصفات المرء من دون ارتياب
وفي يديه وهو معوانٌ لهم^{١٩}
كل يوم من قلوبٍ للبشر
يملاً الأصداف من درِّ البحار^{٢٠}
ما وعت من قبل من أسرارها
حين يأوي العلم والصنع إليك
وبليدُ الطبع طبعَ النابغ
عُدَّة تأتي له يوم الحساب

چون فرامو شيء خلق وبادشان
صد هزاران نيك وبدرا آن بَهي
روز دلهارا ازان پر ميکند
آن همه اندیشه پيشا نها
پيشه وفرهنك تو آيد بتو
پيشه زركر باهنكر نشد
پيشها وخلقها همچون جهيز
باويست واو رسد فرياد شان
مي كند هرشب زد لها شان تهی
آن صدفها را پر از دُر ميکند
مي شناسد از هدايت جانها
تادر أسباب بکشاید بتو
خوي اين خوشخو بآن منكرنشد
سوی خصم آیند روز رستخيز

* * *

وكذا ترجع من بعد المنام
وهي طيرٌ عودٌ حين الصباح
مسرعات كحمام الزاجل
نحو أصحاب حَوَّها، في نظام
حيث كانت من حسان أو قباح
تبتغي المثوى بشوق عاجل

پيشها وانديشها از بعد خواب
پيشها وانديشها در وقت صبح
چون كبوتر هاي پيك از شهرها
واپس آيدهم بخصم خود شتاب
هم بدانجا شدكه بود آن حسن وقبح
سوي شهر خویش آرد بهرها

سماع هذه البيغاء بما فعلت تلك البيغوات
وموتها في القفص ونوح سيدها عليها

سمع الطائر هذا فارتعد
مَرَّقَ الجيبَ هَلوعاً فزَعَا
قال يا خَدني الجميلَ المطربيا
حسرتاه للنجِّي المونس
طائري يا مبدع الألحان لي
لو سليمانُ حواه ظافراً
وهوى للأرض حزناً وبَرَدًا^{٢١}
إذ رأى التاجرُ ما قد وقعَا
ما أرى؟ ماذا دهى؟ وا كربا!
طائري الغرَّيد زين المجلس
راحَ رُوحِي روضَةَ الریحان لي^{٢٢}
لم يقربَ غيرَ هذا طائرا

شنیدن آن طوطي حرکت آن طوطیان و مُردن
آن طوطي در قفص ونوحه خواجه بروي

چون شنید آن مرغ کان طوطي چه کرد
چون بدین رنگ و بدین حالت بديد
گفت اي طوطی خوب و خوش حنين
اي دريغا مرغ خوش آواز من
اي دريغا مرغ خوش الحان من
گر سليمانرا چنين مرغی بُدي
هم بلرزید وفتاد وگشت سرد
خواجه برجست وگريبانش دريد
اين چه بودت اين چراکشتي چنين
اي دريغا همدم وهمراز من
راح روح وروضه ريحان من
کي خوداو مشغول آن مرغان شدي

طائراً أحرزتُ في غيرِ عَناء
يا لساني أنتِ ضُرِّي العاجلُ
يا لساني أنتِ نار وجرين
منك رُوحِي في خفاء تُعُول
غاب عن وجهي سريعاً، للشقاء
كيف أنهاك وأنتِ القائلُ؟
كم تشبُّ النار في الجرن الثمين^{٢٣}
وهي ما قلتَ لها تمتثلُ

يا لساني أنت كنز لا يُعدّ
 أنت للطير خِداً و صفير^{٢٤}
 قَلْماً تُؤمِنني يا غادراً
 قد أطرتَ اليوم هذا الطائراً
 يا لساني أنت غمٌّ لا يحدّ
 أنت في الهجر أنيس و سميزُ
 يُوتر القوسَ لرميي جائراً
 كم بمرعى الجور ترعى سادراً

اي دريغا مرغ کارزان يافتم
 اي زبان تويس زياني مر مرا
 اي زبان هم آتش وهم خرمني
 در نهان جان از تو آفغان ميکند
 اي زبان هم کنج بي پايان توئي
 هم صفير و خدعه مرغان توئي
 چند امانم مي دهی اي بي امان
 نگ بپرانیده مرغ مرا
 زود روي از روي او برتافتم
 چون توئي کو ياچه گويم من ترا
 چند اين آتش در اين خرمن زني
 گرچه هرچه کوئيش آن ميکند
 اي زبان هم رنج بي درمان توئي
 هم أنيس وحشت هجران توئي
 اي توزه کرده بکين من کمان
 در چرا کاه ستم کم کن چرا

أنصِفني أو أجِبني يا غرورُ
 حسرتاً للصبح يمحو ظلمتي
 طائري الطيار، حتى مبدئي
 يعشق الكدح جهولٌ للأبدُ
 أَو فذْكرني بأسباب السروزِ
 حسرتاً للنور يجلو غمّتي
 طار من عند القديم المبدئِ
 أتل «لا أقسم» حتى في كبد^{٢٥}
 صرتُ في نهرك صفواً من زبد^{٢٦}
 وانقطاع من وجودٍ مُدبر^{٢٧}
 هذه الآهاتُ شوقُ النظرِ
 كنتُ من وجهك خلواً من كبدِ

يا جواب من بگو يا داد ده
 اي دريغا صبح ظلمت سوز من
 اي دريغا مرغ خوش پرواز من
 يا مرا زاسباب شادي ياد ده
 اي دريغا نور روز افروز من
 زانتها پر يده تا آغاز من

عاشق رنجست نادان تا ابد
از کبد فارغ بدم باروي تو
این دریغها خیال دیدنست
خیز لا أقسم بخوان تا في کبد
واز زبد صافي شدم در جوي تو
وز وجود نقد خود بپریدنست

* * *

غَيْرَةَ الحق فماذا أصنع؟
هو غير الكل، هذي غيرته
ليت دمعي كان بحرًا زاخرًا
بيغائي طائري هذا الذكي
كل ما قد جاء من نفع وضر
طائر بالوحي كانت صيحته
ببغاء فيك تخفي نفسها
حُكْمه في كل قلب يصدع^{٢٨}
فوق كل الوصف تعلو صفته
ونثارًا لحبيبي طاهرًا
ترجمان الفكر والسرّ لديّ
قال لي من قبل كيما أدّكر
قبل هذا الخلق كانت بدّأته
وتّرى في ذا وهذا عكسها

غیرت حق بود با حق چاره نیست
غیرت آن باشدکه او غیز همست
ای دریغا آشک من دریا بدی
طوطی من مرغ زیرک سار من
هرچه روزی داد و ناداد آیدم
طوطی کآید ز وحي آواز او
اندرون توست ان طوطی نهان
کودلی کز حکم حق صد پاره نیست
انکه افزون از بیان ودممه ست
تا نثار دلبر زیبا بدی
ترجمان فکرت و أسرار من
او ز اول گفته تا یاد آیدم
پیش از آغاز وجود آغاز او
عکس او را دیده تو براین و آن

* * *

فَرِحَ منها ومنها غمّكا
مُحَرِّقُ الروح لأجل الجسم! مَنْ
احتترقت اليوم هيّا فاقبسوا
وتراءى جورها عدلا لكا^{٢٩}
يحرق الروح لتنوير البدن؟
حين يُبغى لهشيم قَبَس^{٣٠}

يَجْذِبُ النَّارَ إِلَيْهِ الْمَحْرَقُ
عُمُّ هَذَا الْبَدْرُ تَحْتَ السُّحْبِ
وَهَزَبَ الْهَجْرَ عَاتٍ فِي سَعْرِ
كَيْفَ إِنْ نَالَتْ يَدَاهُ الْقَدْحَا؟

فخذوا للوقد ما يحترق
كربتي، وا كربتي، وا كربتي
كيف لي القول وقلبي مستعر
من يرى سكراناً فظاً إن صحا

می پذیری ظلم را چون داد ازو
سوختی جان را وتن افروختی
تا زمن آتش زند اندر خسی
سوخته بستان که آتش کش بود
کان چنان ماهی نهان شد زیر میغ
شیر هجر آشفته و خونریز شد
چون بود او چون قدح گیرد بدست

می برد شادیت را توشاد ازو
ای که جان از بهرتن می سوختی
سوختم من سوخته خواهد کسی
سوخته چون قابل آتش بود
ای دریغا ای دریغا ای دریغ
چون زخم دم کاتش دل تیز شد
آنکه او هوشیار خود تندست ومست

أَسَدُ غَضْبَانٌ أَعَيْتُ صَفْتُهُ بفسیح المرج ضاقت همته

بسوی وجهی انی تُشْغَلُ؟^{۳۱}
أنت للسعد أمامي قافية
إنه الشوك لبستان العنب^{۳۲}
وأناجيك بغير الكليم
لك يا سرّ الوری أبعیته
ذاك غمّ لم يذُقه جبرئیل

قال جبّي والقوافي شغل:
اتركنها واقعدن في عافية
تبتغي الحرف! أفي الحرف أرب
أمحق الحرف وأقوال القم
نفس عن آدم أخفيته
ذاك قول لم أقله للخليل

شیر مستی کز صفت بیرون بود از بسیط مر غزار افزون بود

* * *

قافیه اندیشم وذلدار من	کویدم مندیش جزیددار من
خوش نشین ای قافیه اندیش من	قافیه دولت توئی در پیش من
حرف چه بود تاتوا اندیشی ازان	حرف چه بود خار دیوار رزان
حرف وصوت وگفت رابرم زنم	تا که بی این هرسه باتودم زنم
آن دمی کز آدمش کردم نهان	باتو گویم ای تو اُسرار جهان
ان دمی راکه نگفتم با خلیل	وان غمی راکه نداند جبرئیل

* * *

نَفْسُ ذَا مَا لِعَيْسَى بُيِّنَا	غَيْرَةُ الْحَقِّ حَمَتَهُ غَيْرِنَا
«ما» لِإِثْبَاتِ وَنَفِي فِي الْكَلِمِ	لَسْتُ إِثْبَاتًا أَنَا نَفِي الْعَدَمِ ^{۲۳}
قَدْ أَصَبْتُ الذَّاتَ فِي اللَّذَاتِ لِي	فَأَضَعْتُ الذَّاتَ فِي النَفِيِّ الْجَلِيِّ ^{۲۴}
كُلُّ مَلَكٍ هُوَ عَبْدٌ لِلْعَبِيدِ	كُلُّ إِنْسَانٍ فَاقِيدٌ لِلْفَقِيدِ ^{۲۵}
يَصْبِحُ الصَّيَادُ صَيْدًا لِلطَّيُورِ	لِتَصِيرَ الطَّيْرُ صَيْدًا بِالغُرُورِ

اندمی کزوی مسیحا دم نزد	حق ز غیرت نیز بی ما هم نزد
ما چه باشد در لغت اثبات ونفی	من نه اثباتم منم بی ذات ونفی
من کسی در نا کسی در یافتم	پس کسی در نا کسی در باختم
جمله شاهان بنده بنده خودند	جمله خلقان مرده مرده خودند
می شود صیاد مرغانرا شکار	تاکنند ناگاه ایشانرا شکار

* * *

كل حِبِّ طَالِبٍ لِلْوَامِقِ وكذا المعشوق صيد العاشقِ

كل ذي عشق ترى فهو يُحَبِّ
 يبتغي الماء الذي قد عطشا
 إنه العاشق لا تنطق إذن
 احبس السيل إذا ما هدرا
 لا أبالي فعله إن يُخرب
 وغريق الحق يشتاق المزيد
 فهو بالنسبة محبوبٌ محبٌ
 وكذاك الماءُ يبغى العطشا
 وكن الأذن إذا يبغى الأذن
 أو تجده طاغياً قد دمراً^{٣٦}
 فكنوز المُلْك تحت الخرب
 مثل بحر الروح في موج شديد^{٣٧}

بي دلان را دلبران جستہ بجان
 هر که عاشق دید یش معشوق دان
 تشنگان گر آب جویند از جهان
 چونکه عاشق اوست توخاموش باش
 بند کن چون سیل سیلا بی کند
 من چه غم دارم که ویرانی بود
 غرق حق خواهد که باشد غرق تر
 جمله معشوقان شکار عاشقان
 کو بنسبت هست هم این وهم آن
 آب جوید هم بعالم تشنگان
 او چو گوشت می کشدتو گوش باش
 ورنه رسوایی و ویرانی کند
 زیر ویران کنج سلطانی بود
 همچو موج بحر جان زیرو زبر

قعره أو موجه لي أطيّب؟
 أنت بالوسواس يا قلبي كسير
 كوكب منه يدي ألف هلال
 قد أصبنا ديةً والثمننا
 إن في الموت حياة للمحب
 قلبه أبغى، وفي ألف دلال
 قلت: فيك الروح والعقل غرق
 لست أدري كيف أبصرت الصديق
 سهمه أو ترسه لي أعذب؟
 إن تفرّق بين غم وسرور
 ودم العالم إن يسفك حلال^{٣٨}
 فعجلنا نبذل الروح هنا
 لا تُصيب القلب إلا إن سلب
 هو يولينني تَعَلَّات الملال^{٣٩}
 قال: فانهب ذاك إفكُ تَخْتَلِقُ
 رائِي الاثنين جاوزت الطريق

زیر دریا خوشتر آید یا زبر
پاره کرده و سوسه باشی دلا
هر ستارش خو بنهای صد هلال
ما بها و خونبهارا یا فتم
إي حیات عاشقان درمر دگي
من دلش جُستم بصد ناز ودلال
گفتم آخر غرق تست این عقل وجان
من ندانم آنچه اندیشیده

تیر او دلکش تر آید یا سپر
گر طبربرا باز دانی از بلا
خون عالم ریختن اُورا حلال
جانب جان باختن بشتا فتم
دل نیابی جز که در دل برد گي
او بهانه کرده بامن از ملال
کفت رو رو برمن این افسون مخوان
أي دودیده دوست راچون دیده

يا ثقيل الروح هَيِّنَا خَلَّتَهُ
من يَحْزُ بِالرَّخْصِ يُنْفِقُ بِالْغَرَرِ
غَصْتُ فِي عَشْقٍ وَعَشَقُ الْأَوْلِينَ
مُجْمَلًا قَلْتُ، وَجَانِبَتِ الْبَيَانَ
أنا من كَثْرَةِ قَوْلِي أَخْرَسُ
كي نُوَارِي حُلُونَا عَنْ كُلِّ عَيْنِ
لا يَسُوغُ الْقَوْلُ فِي كُلِّ أَدُنْ

حينما بِالرُّخْصِ قَدْ أَحْرَزْتَهُ
يَشْتَرِي الطِّفْلَ رَغِيْفًا بِالْذُّرْرِ
غَارِقٌ فِيهِ وَعَشَقُ الْآخِرِينَ
تَحْرِقُ الْأَفْهَامَ فِيهِ وَاللِّسَانَ
أنا من حُلُو كَلَامِي أَعْبَسُ
في عَبُوسِ الْوَجْهِ بَيْنَ الْعَالَمِينَ
دَرَّةً أَشْرَحُ مِنْ سَرِّ لَدُنْ

إي گران جان خوار دیدستی ورا
هر که او آرزان خرد ارزان دهد
غرق عشقی ام که غرقست اندرین
مجملمش گفتم نکردم زان بیان
من ز شیرینی نشستم روی ترش
تا که شیرینی ما از دو جهان
ناکه در هر گوش ناید این سخن

زانکه بس آرزان خریدستی ورا
گوهری طفلی بقرصی نان دهد
عشقهای اولین و آخرین
ورنه هم افهام سوزد هم بیان
من ز بسیاری گفتارم خممش
در حجاب رو ترش باشد نهان
یک همی گویم ز صد سر لدن

تفسير قول الحكيم سنائي رحمة الله عليه

فما يثنيك عن سيرٍ سواء؛ كفرٌ ام إيمان
وما يقصي عن الحبِّ سواءً حسنٌ ام قبح^١؛

غيرةٌ في الكون عمّت لا تُحد
ولها من غيرة الحق مدد
هو كالروح وذا الكون جسد
منه بالخير وبالشر يُمد
كلُّ من محرابه للنسك عين
انتحاه وجهة الإيمان شين
كل من صار نديماً للملك
خاسرٌ في بعده مهما ملك
من يجالس مَلْكَه في قربه
فجلوس الباب إزراء به

تفسير قول حكيم سنائي رحمة الله عليه

بهر چه از راه واماني چه كفر آن حرف چه إيمان
بهر چه از دوست دور افتي چه زست آن نقش وچه زيبا

جمله عالم زان غيور آمد که حق برد در غيرت برين عالم سبق
أو چو جانست وجهان چون کالبد کالبد أزجان پذيرد نيك وبد
هر که محراب نمازش گشت عين سوی ايمان رفتنش ميدان تو شين
هر که شد مر شاهرا أو جامه دار هست خسران بهر شاهش اتجار

خلتني من روح روعي شاكياً
قال قلبي أنا منه في عناء
اصدقني أنت فخر الصادقين
لا ترى صدرًا هنا أو تُرب بابُ
شاكياً لست ولكن حاكياً
وأنا أضحك من هذا الرياء
أنت صدر وأنا تُرب مَهين
لا أنا أو نحن في ذاك الجنبُ

چون نبا شم همچو شب بي روز أو
نا خوش او خوش بود برجان من
عاشقم بر ربخ خویش ودرد خویش
خاك غمرا سر مه سازم بهر چشم
اشك كان از بهر أو بارند خلق
من زجان جان شكاييت ميكنم
دل همي گوید از ورنجیده ام
راستي کن اي تو فخر را ستان
آستان صدر در معنی كجاست
بي وصال روي روز افروز أو
جان فداي يار دل رنجان من
بهر خشنودی شاه فرد خویش
تاز گوهر پر شود دو بحر چشم
گوهر ست واشك پندار ند خلق
من نیم شاکي روايت مي کنم
وز نفاق سست مي خندیده ام
اي تو صدر ومن درت را آستان
ما ومن کو آن طرف کان يار ماست

أنت في الزوجين روح لطفاء؛
أنت، إن يتَّجدا، ذا الواحد
من أنا أو نحن رُوح قد صفا
حينما الأحاد تمحى توجد

كان هذا، اقبلن يا أمر «كُن»
قد يراك الجسم جسمًا في الوهم
إن قلبًا قيده ضحك وهم
من يحزه ذا وذا في ناحية
إنما العشق كبستان نَصْر
فوق هذين سما العشق الرفيع
يا عليًا عن هيا أو أقبلن
خائلاً أنك في ضحك وغم
ليس للرؤية أهلاً لو علم
عاش في هذين عيش العارية
فيه، غير الغم والضحك، ثمر
ناضراً دون خريف وربيع

اي رهیده جان تو ازما ومن
مرد وزن چون يك شودآن يك تويي
اي لطيفه روح اندر مرد وزن
چونكه يكها محو شد آنك تويي

اي منزه از بيا واز سخن
چشم جسمانه تواند دیدنت
در خیال آرد غم وخنديد نت
دل كه او بستۀ غم وخنديد نست
تو مگو گو لايق آن دیدنست
آن كه او بستۀ غم وخنده بود
او بدین دو عاريت زنده بود
باغ سبز عشق كوبي منتهاست
جز غم وشادي درويس ميوها ست
عاشقي زين هر دو حالت برترست
بي بهار وبی خزان سبز و ترست

يا صبيحًا زكَّ وجهًا صَبُّحًا
كلَّ حين في فؤادي ميسم
وأعد شرح فؤاد شُرِّحًا
فدمي أحللته إِمَّا نظر
من دلال في عيون يكلم
لم تُصَبِّ الغم في القلب المذاب
كَلِمًا أحللته، مَنِّي نفر
قد رآك الصبح حين الفلق
أنت في كَوْنِ البلى روح جديد
إن كرهت النوح من أهل التراب
دُع حديث الورد بالله احك لي
فائضَ النور كعين المشرق
وجدنا ليس لغمَّ وسرور
فاسمعن أنات ذا الجسم الفقيد
حالة أخرى لدينا نادرة
كيف بعد الورد حال البلبل؟
صحونا ليس لوهم أو غرور
قدرة الحق لدينا ظاهرة

ده زكات روي خوب أي خوب رو
کز کرشمه غمزۀ غمازۀ
شرح جان شرحه شرحه باز گو
من حلالش کردم أرخونم بريخت
بر دلم بنهاد داغ تازۀ
چون گريزاني زنالۀ خاکيان
من همي گفتم حلال؟ أو مي گريخت
غم چه ريزي بردل غمناکيان

فصول من المتنوي

اي که هر صُبحي که از مشرق بتافت
اي جهان کهنه را تو جان نو
شرح گل بکذا ر ازبهر خدا
از غم وشادي نباشد جوش ما
حالتي ديگر بود کان نادر ست
هم چو چشمه مشرقت درجوش يافت
از تن بي جان ودل أفغان شنو
شرح بلبل گوکه شد از گل جدا
با خيال ووهم نبود هوش ما
تومشو منکر که حق بس قادر ست

ما بحال الناس تدري غورها
كل ذي الأوصاف أمر حادث
موئلاً الصبح! لقد لاح الصباح
نحن، والصبح بدا، من نوركا
نلتُ من فيضك هذي الرُتبا
فورة الصهباء جدوى وجدنا
نُسكر الخمرة لا تسكرنا
لا تصفُ إحسانها أو جورها
مائتات والإله الوارث
فحسامَ الدين بشُرَّ بالفلاح^ه
في صبوح نحتمي من خمركا
ما تكون الخمر حتى تُطربا؟
دورة الأفلاك جدوى صحونا^ه
نوجد القالب لا يوجدنا

تو قياس از حالت إنسان مكن
جور وإحسان رنج وشادي حادث
صبح شد اي صبح رابشت ونپاه
تافت نور صبح وما از نور تو
داده تو چون چنين دارد مرا
باده درجوشش كدائي جوش ماست
باده از ما مست شد ني ما ز او
منزل اندر جور ودر إحسان مكن
حادثان ميرند وحق شان وارثت
عذر مخدومي حسام الدين بخواه
در صبوحني بأمي منصور تو
باد که بود کو طرب آرد مرا
چرخ در گردش كدائي هوش ماست
قالب از ما هست شدني ما ز او

نحن كالنحل وكالموم الجسم
قد تخذنا الدور فيها لنقيم

ما چو زنبوريم وقالبها چو موم خانه خانه کرده قالب راچو موم

رجوع إلى حكاية التاجر

ذا حديث ما له من آخر
ظل هذا في زفير وحنين
بين هتر ودلال وضرع
وكذا الغارق يُضني جُهدَه
جاهدًا أعضاءه لا تستقر
ويحب الحقُّ هاتيك الجهودُ
عد إلى قصة ذاك التاجر:
يرسل القول شتيتًا كلَّ حين
بين حق ومجاز ووَلع
منشَبًا في كل شيء يده
يطلب النجدة من هذا الخطر
جهدك الخائب خير من رقود

رجوع بحكايت خواجه تاجر

بس درازست این حدیث خواجه گو
خواجه اندر آتش و درد و حنین
گه تناقض گاه ناز و گه نیاز
مرد غرقه کشته جانی می کند
تا کدامش دست گیرد در خطر
دوست دارد یار این آشفستگی
تا چه شد احوال آن مرد نگو
صد پرا کنده همی گفت اینچنین
گاه سودای حقیقت گه مجاز
دست را بر هر گیاهی می زند
دست و پای می زند از بیم سر
کوشش بیهوده به از خفتگی

لا يَخْلِي الْعَمَلُ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ
سورة الرحمن فيها يا فتى
فانصِبْ في ذا الطريق واجهدا
يا صحيحًا نوحه نوح السقيم^{٤٧}
«كل يوم هو في شأن» أتى
لا تَضِيعُ نَفْسًا حَتَّى الردى

لا تضيِّعُ فعسى في لمحة
كُلُّ مَسْعَاةٍ لأُنثَى أو ذكر
تغتدي في لطفه والرحمة
أُنُّ الملك إليها والنظر

آنکه او شاهست او بیکارنیست
بهر این فرمود و حمان ای پسر
اندرین ره می تراش و می خراش
تا دم آخر دمی آخر بود
هرچه کوشد جان که در مردوزنست
نالہ آزوی طرفه کوبیمار نیست
کل یوم هو فی شان ای پسر
تا دم آخر دمی فارغ مباش
که عنایت باتو صاحب سربود
گوش و چشم شاه جان برروزنست

إلقاء التاجر البغاء الميته من القفص و طيران البغاء

ورمی من بعدُ هذي البغاء
طارت الببغاء في آفاقها
حيّر السيدَ جدًّا أمرها
فانتحاهَا صائِحًا يا عندليبُ
ما الذي أوحته تلك البغاء؟
فأجابت: فعلها أوحى إليّ:
أنتِ في سجن بهذا المنطق
فعلت غصنًا رفيعًا في الفضاء
كشعاع الشمس في إشراقها
كان مخفيًا عليه سرُّها
بيّني لي ذلك الحالَ العجيب
لك مكر نال منِّي ودهاء
أن دعي الحسنَ وذا الصوت الرضيّ
موتها أوحى بنصح المشفق

برون انداختن مرد تاجر طوطی را از قفس و پریدن طوطی مرده

بعد از انش از قفس بیرون فکند
طوطی مرده چنان پرواز کرد
خواجه حیران گشت اندر کار مرغ
روی بالا کرد و گفت ای عندلیب
طوطیک پرید تا شاخ بلند
کافتاب از شرق ترک و تاز کرد
بی خبر تا که بدید آسرار مرغ
از بیان حال خود مان ده نصیب

او چه کرد آنچه که تو آموختی
گفت طوطی کو بفعلم پند داد
زآنکه آواز ترا در بند کرد
ساختی مکری ومارا سوختی
که رهاکن لفظ و آواز وکشاد
خویش را مرده پی ان پند کرد

مُطْرِبِ الْأَقْوَامِ مِنْ عَمٍّ^{٤٨} وَخَاصٍ
إِنْ تَكُنْ وَرَدًا بِطِفْلِ تُقْتَطِفُ
أَسْتِرِ الْحَبَّ وَكُنْ كَالشَّبِكِ
مَنْ يُصَيِّرُ حُسْنَهُ رَهْنَ الْمَزَادِ
يَنْزِلُ السَّخَطُ عَلَيْهِ وَالْغَضَبُ
يَقْطَعُ الْخَلُّ عَلَيْهِ وَقَتَّهُ
أَيُّهَا الْغَافِلُ عَنْ غَرَسِ الرَّبِيعِ
إِنْ تَمَّتْ مِثْلِي تَظْفَرُ بِالْخِلاصِ
أَوْ تَكُنْ حَبًّا بِفَرْخٍ تُخْتَطِفُ
وَاسْتِرِ الْوَرْدَ وَكُنْ كَالْحَسَكِ
يَسْرِعُ الشَّرُّ لَهُ مِنْ كُلِّ وَادٍ^{٤٩}
مَنْ أَوْلِيَ الْحَقْدَ كَأَفْوَاهِ الْقِرْبِ
وَيَرَوِّي الْخِصْمَ مِنْهُ مَقْتَهُ
كَيْفَ تَدْرِي قِيَمَةَ الْوَقْتِ السَّرِيعِ

يعني اي مطرب شده با عام و خاص
دا نه باشي مرغكانت برچنند
دا نه پنهان كن بكلي دام شو
هركه داد او حسن خود را در مزاد
چشمها و خشمها ورشكها
دشمنان اورا ز غيرت مي درند
او كه غافل بود از كشت بهار
مرده شو چون من كه تا يا بي خلاص
غنچه باشي كودكانت بر كنند
غنچه پنهان كن كياه بام شو
صد قضاي بد سوي او رو نهاد
بر سرش ريزد چو آب از مشكها
دوستان هم روزكارش مي برند
او چه داند قيمت اين روز گار

فِإِلَى لُطْفِ الْإِلَهِ الْمَلْتَحِدِ
إِنْ تَجِدَ فِي لُطْفِهِ مَلْتَحِدًا
مَا تَرَى الْمَاءَ لِنُوحِ نَصْرًا؟
وَهَبِ الْأَرْوَاحَ لُطْفًا لَا يُحَدِّ
صَارَ مِنْكَ الْمَاءُ وَالنَّارُ فَدَى
وَلْمَوْسَى، وَلِقَوْمِ دَمْرًا

حمت ابراهيم نار حاميّه
ودعا يحيى إليه الجبلُ
قال: يا يحيى اتخذني حامياً
زلزلت نمرود ذاك الطاغية
فرمى الأعداء منه جندل
لأردّ السيف عنك الماضياً

پس پناه لطف حق باید گریخت
نا پناهي یابی انگه چون پناه
نوح وموسى را نه دریا یارشد
آتش ابراهيم را نه قلعه بود
کوه يحيى رانه سوى خویش خواند
کفت اي يحيى بيدارمن کریز
کو هزاران لطف برا رواج ریخت
آب و آتش مرترا کردد سپاه
ني بر اعدا شان بکین قها رشد
تا بر آورد از دل نمرود دود
قاصد انش را بزخم سنک راند
نا پناهت باشم از شمشیر تیز

توديع السيد الببغاء وطيرانها

نصحته الببغا ذات الهيام
في أمان الله، قال السيد
إن هذا النصح نصح صائب
ليس روعي دون هذا الطائر
ثم نادت بفراق وسلام
بان لي مما نصحت الرشد
نهجها أقفو فهذا لاجب
إنما الروح دليل الحائر

وداع کردن طوطی خواجه راو پریدن او

بك دويندش داد طوطی پر مذاق
خواجه گفتش في أمان الله برو
خواجه باخود گفت کين پندمنست
جان من کمتر ز طوطی کي بود
بعد ازان گفتش سلام والفرق
مرمررا اکنون نمودي راه نو
راه او گیرم که راه روشنست
جان چنین باید که نیکویی بود

مضرة اشتهار الإنسان وتعظيم الخلق إياه

قَفَصُ لِلرَّوْحِ هَذَا الْبَدْنُ بَيْنَ غَشٍّ ظَاهِرٍ أَوْ يَبْطُنٍ
مِنْ مُنَادٍ: أَنَا خَلُّ أَصْطَفِيكَ وَمُنَادٍ: بَلْ أَنَا نِعَمَ الشَّرِيكِ
وَمُنَادٍ: أَنْتَ فَرْدٌ فِي الْوُجُودِ بَيْنَ إِفْضَالٍ وَإِحْسَانٍ وَجُودٍ

مضرت تعظيم خلق وانكشت نمای شدن

تن قفص شكست تن شد خارجان در فريب داخلان وخارجان
انيش گوید من شوم همراز تو وانش گوید ني منم انباز تو
اينش گوید نيست چون تودر وجود در جمال وفضل ودر إحسان وجود

ومناد: لك ما في العالمين أعبدُ أرواحنا من غير مَين
ذاك يدعوه لأوقات السرور ذاك يدعوه لعيش وحُبور

يركب الرأس هوى من عُجبه حين يلقي الخلق مفتوناً به
ما درى كم قبله ممن بطر قد رمى الشيطانُ في ماء النهر؟
لقمة لذت نفاق البشر فاحذرن ما تحتوي من شرر
لذة تبدو، ونار كامنة آخر الأمر تراها داخنة
لا تقل: «أنتى بمدح أفتن» هو يبغى الرفد، إني فطن
فمتى يهجك هذا المادح؟ دام في قلبك غيظ جارح

انش گوید هر دو عالم آن تست جمله جانها مان طفیل جان تست

اینش خواند گاه نوش و خر می آنش خواند گاه عیش و همد می

اوچو بیند خلق را سرمست خویش از تکبر میروند از دست خویش
او نداند که هزار انرا چو او دیوا فکندست اندر آب جو
لطف سالوس جهان خوش لقمه ایست کمترش خور کان پر آتش لقمه ایست
آنشش پنهان وذوقش آشکار دود او ظاهر شود پایان کار
تومگو کان مدح را من کی خورم از طمع می گوید او پی می برم
مادحت گز هجو گوید در ملا روزها سوزد دلت زان سوزها

يكتوي القلب بهذا الأثر فقس المدح عليه تبصر
فكذلك المدح يبقى أثره أصل كبر و خداع تُضمرة
فلأن المدح حلو يُستتر ولأن القدح مرُّ يظهر
مثل ما تجرع من مرِّ الدواء فترى الباطن منه في عناء
لكن الحلوى لها ذوق وجي مستساغ لمحّة وهو شهّي
ليس يبقى ظاهرًا بل يستتر فاعرف الضد بضع واعتبر^{٥٠}
أثر السكر يبقى خافيًا فترمي الدمّل منه باديا

آن اثر می ماندت در اندرون در مدیح این حالتت هست آزمون
ان اثرهم روزها باقی بود مایه کبر و خداع جان شود
لیک ننماید چو شیرینست مدح بد نما ید زانکه تلخ افتاد قدح
همچو مطبوخست وحب کانراخوری تا بدیری شورش ورنج اندری
در خوری حروا برد ذوقش دمی این اثر چون او نمی یا بد همی
چون نمی پا ید همی پا ید نهان هر ضدی را تو بضد آن بدان
چون شکر باید نهان تأثیر او بعد حینی دمل آردنیش جو

نفسنا بالمدح فرعونَ تُرد
لا تكن مَلْكا وكن عبداً صَبْر
أو فأبصر حين لا يبقى الجمال
فترى من كان يُسميك العظيم
من تجيء منهم ترَجِّي نصره
يقصد الشيطان إنساناً لشرِّ
كان يقفوك وأنت الآدمي
حينما شاركته الطبع الذميم

«كن ذليل النفس هوناً لا تسد»
لا تكُ المضراب، واصبر كالأكر
كيف تلقى من ندامك الملال
حين يلقاك، يُسميك الرجيم
قال: ميت شقَّ عنه قبره
صرت شرّاً منه إن يبصرك فرّ
ساقياً إياك كأس الآثم
صار يعدو منك إذ أنت الأثيم

نفس از بس مدحها فرعون شد
تا تواني بنده شو سلطان مباش
ورنه چون لطفتم نماندوين جمال
آن جماعت كت همي دادند ريو
جمله گویندت چو بیندنت بدر
دیر سوی آدمي شد بهر شر
تاتو بودي آدمي دیو از پیت
چون شدي در خوي ديوي استوار

(کن ذلیل النفس هوناً لا تسد)
زخم کش چون کوي چون چوکان مباش
از تو آید آن حریفان را ملال
چون به بیندنت بگویندت که دیو
مردۀ از کور خود بر کرد سر
سوی تو ناید که از دیوي بتر
مي دوید ومي چشانید او میت
مي گریزد از تو دیو اي نا بکار

من یداه امس جرّت ذیلکا
إن رآك اليوم يهْرُب، ویلکا!

آنکه اندر دا منت آویختند
چون چنین گشتي زتو بکر یختند

تفسير ما شاء الله كان

كل هذا قولنا لكننا
دون عون الحق يُلقى من سلك
يسر الحاجات طرًا يسركا
يا إلهي ذا الهدى أعطيتنا
قطرة العلم التي من أنعمك
عَدَمٌ إن لم يُعِنَّا ربنا
أَسْوَدَ الصُّخْفِ ولو كان الملك
ومحا الأسماء طرًا نكركا
وبهذا الفضل تخفي عيينا
رَبِّ، صلها بطوامي أَبْحُرْكَ

تفسير ما شاء الله كان

اين همه گفتم ليك اندر بسيچ
بي عنايات حق وخاصان حق
اي خدا از فضل تو حاجت روا
اين قدر إرشاد تو بخشيده
قطره دانش كه بخشيدي زپيش
قطره علمست اندر جان من
بي عنايات خدا هيچيم هيچ
كر ملك باشد سياهستش ورق
باتو ياد هيچكس نبود روا
تا بدين بس عيب ما پو شيده
متصل كردان بدر ياهاي خويش
وا رهانش از هوا وزخاك تن

لا تدعها في تراب تُخَسَفُ
وإذا تُنَسَفَ كنت القادرا
قطرة في التراب تخفي والهواء
إن ينلها عدم، أَلْفُ عَدَمٍ
كم من الأضداد يمحو ضده
كلّ حين سائرات من عدم
سيما ألبابنا والفكر
أو تدعها في هواء تُنَسَفُ
أن يرى ما أخفياه ظاهرا
ما بها عن حول باريها خفاء
حين تدعوها تجلّي في الظلم
ويحكم تتولّى رده
لوجود، أمم إثر أمم
كلّ ليل في بحار تُغَمَرُ

ثم حين الصبح يبدو ما استسرَّ
مثل حُوت من خُصمٍ قد ظهرُ

پیش ازان کین خا کھا خسفش کنند
گرچه چون نشفش کنند تو قادری
قطرۀ کو در هوا شد یا که ریخت
کردر آید در عدم یا صد عدم
صد هزاران ضد ضد رامی کشد
از عدمها سوي هستي هر زمان
خاصه هر شب جمله افکار وعقول
باز وقت صبح آن اللهیان

هذه الأوراقُ إبانَ الخريفِ
تندب الغربان فيها صائحه
ثم يأتي الأمر من رب القرى
أن أعد ما غلت يا موت الخضر
تختفي في لجة الموت المطيفُ
في الثياب السود مثل النائحه
أن يرد الموت ما فيه سرى
من نبات ودواء وثمر^{٥٢}

فكرن يا صاح في هذا الصنيع:
انظرن في القلب روضًا ناضرًا
حجب الأغصانَ فيضُ الورق
فيض عقل الكل هذا الكلمُ
دائمٌ فيك خريف وربيعُ
من رياحينَ وسرو، زاهرًا
واختفى المرحج بوردٍ مونقٍ
ريحُ هذا الروض. هل من يفهم؟

در خزان ان صد هزاران شاخ وبرك
زاغ پوشیده سیه چون نوحه گر
باز فرمان آید از سالار ده
از هزیمت رفته در دریای مرك
در گلستان نوحه کرده بر خضر
مر عدم را کانه خوردي بازده

آنچه خوردي واده اي مرك سپاه از نبات ودارو وبرك وكپاه

* * *

اي برا در عقل يك دم باخود آر
باغ دل را سبزوتر وتازه بين
زانبهئى برک بنهان گشته شاخ
این سخنهایی که از عقل کلاست
دم بدم در تو خزانست وبهار
پر زغنچه ورد وسرو ویاسمین
زانبهئى گل نهان صحرا وكاخ
بوي ان گلزار وسرو وسنبلیست

* * *

ریحُ وردٍ حیث لا وردَ یُرى
ذا دلیل لك هادٍ فی الوری
ذا دواء العین یحبوها النظر
إنَّ حُبَّ الریح للعین رَمَد
یوسفًا لستَ فكن یعقوب فی
اسمعنُ نُصحَ الحکیم الغزنوی^{۵۳}
فی جمال الوجه عذر للدلال
ففضیع قبح وجهه وغضبُ
فورة الخمر ولا خمر تری
تنتحی الخلد به والکوثرا
عاد بالریح لیعقوب البصرُ
وَشَذَا یوسف للعین مدَد
وفرة الدمع وحزنٍ مدنف
لتری الجدة فی الجسم التوی
فدع الدل وقد فات الجمالُ
وَأَلیم کفُّ عین ووصبُ

بوي گل دیدي که انجا گل نبود
بو قلاوز ست ورهبر مر ترا
بو دواي چشم باشد نور ساز
بوي بد مرديده را تاري کند
تو که یوسف نیستی یعقوب باش
بشنو این پند از حکیم غزنوي
ناز را رویی ببا ید همچو ورد
زشت باشد روی نازیبا وسرد
جوش مل دیدي که آنجا مل نبود
می برد تا خلد وکوتر مر ترا
شد زیویی دیده یعقوب باز
بوي یوسف دیده را یاری کند
همچو او در گریه آشوب باش
تا بیابی در تن کهنه نوي
چون نداری گرد بدخویی مگرد
سخت باشد چشم نابینا ودرد

لا تفاخر بجمالِ يوسُفا واحكِينُ يعقوبَ دمعا زُرِفا

كان موتُ البيِّغا رمزَ الخضوع فأمتَ نفسك في ذلٍّ وجوعٍ
لُتريَّ يحييك من عيسى نفسُ طيبًا في غبطة لا تبتئسُ
ليس يخضُرُ من الغيثِ الحجر كن ترابًا ينبعث منك الزهرُ
قد لبثتَ الدهرَ صخرًا قاسيًا فلتكن يوما ترابا ناميًا

پیش یوسف نازش و خوبی مکن جز نیاز وآه یعقوبی مکن

معنی مردن زطوطی بد نیاز در نیاز و فقر خود را مرده ساز
تا دم عیسی ترا زنده کند همچو خویشت خوب و فرخنده کند
از بهاران کی شو سر سبز سنک خاک شو گل بروید رنک رنک
سالها تو سنک بودی دل خراش آزمو نرا یک زمان توخاک باش

هوامش

- (١) تغير السياق من خطاب الجماعة إلى خطاب الواحد.
- (٢) كان الخطاب من البيغاء إلى أخواتها، وهو في هذا البيت وما بعده من عبد إلى سيده وكأنه يخاطب الله تعالى، وهو الحبيب الذي يكنى بكل حبيب عنه. وهكذا ينتقل الناظم إلى القصد الأعلى لأدنى مناسبة.
- (٣) في الأصل: زلته خير من الطاعة عند الحق، أمام كفره كل إيمان الخلق.
- (٤) الشطر الثاني غامض وهو في الأصل كالأنهار الأربعة في حكم ساكن الجنة. ولعل معناه أن المكان واللا مكان في حكم هذا الإنسان الكامل كهذه الأنهار في تصرف أهل الجنة يتمتعون بها كما يشاءون.

(٥) أبقينا الجملة والله أعلم بالصواب كما وضعت في الأصل بتسكين الميم.

(٦) يعني يثير الفتنة، فيجعل الضعيف العاجز كالأسد.

(٧) المرء الجدال.

في الأبيات التالية يريد الناظم أن يبين الفرق بين الكامل الذي يفقه الأمور ويوجهها إلى الخير مهما كانت، والناقص الذي ينقلب الخير شرًا في إدراكه القليل ومنطقه العليل.

(٨) هذا العنوان لا يمتد على الفصل الآتي، ولكنه وضع للأبيات القليلة التي ذُكر

فيها موسى والسحرة، والكلام بعد متصل بما قبل العنوان وهو في صفة الكامل والناقص.

(٩) إشارة إلى الآية: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾.

(١٠) هذا البيت لم يترجم بل وضع بالعربية.

(١١) جعلت أستاذ بالبدال مقابلة في القافية لإسناد، ولفظ «له» رديفًا على طريقة

شعراء الفرس.

(١٢) في هذا البيت مثل آخر للقافية المدروفة فحلّ اللقمة المكرر رديف والقافية في

الحكمة والرقعة، وهو في الأصل كذلك.

(١٣) ينبغي أن يفسر ما يقوله في اللقمة هنا بأنه كناية عن أخذ النفس بالعفاف

والتقوى ورياضتها على التزام العدل وتجنب العدوان.

(١٤) في هذا البيت وما يليه يذكر الناظم ما يتولد عن أفعال الإنسان. ويبين أن

هذه المواليذ ليس للإنسان حيلة فيها والذي ساق إلى هذا الحديث قصة التاجر؛ فقد أبلغ رسالة تولد منها موت البيغاء ... إلخ.

(١٥) الضمير هو للوليّ المفهوم مما سبق.

(١٦) الآية: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١٧) إشارة إلى الآية: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا

وَازْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

(١٨) الشطر الأول من هذا البيت عربي في الأصل والإشارة في أنسوكم إلى الآية التي

في البيت السابق.

(١٩) يظهر أن الضمير هنا يعود إلى الولي المذكور في أبيات سابقة.

(٢٠) خلاصة ما يريد الناظم في هذا البيت وما بعده أن الإنسان إذا نام نسي علمه وصنعتة فإذا استيقظ رجع إليه العلم والصنعة وتعرّف كل روح ما لها ولا يذهب علم واحد إلى غيره ... إلخ.

(٢١) برد: مات.

(٢٢) ألحان وريحان وقعتا قافيتين في الأصل مع كلمة «من» وهي الرديف. وقد أبقيت التقفية في الترجمة وجعلتها مثلاً لهذا الضرب من التقفية في الشعر الفارسي.

(٢٣) النار والجرن عبارة شائعة في الأدب الفارسي، والجرن الجرن.

(٢٤) مثل خداع الصائد وصفيره ليصطاد الطير.

(٢٥) يريد أول سورة لا أقسم: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٍ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ومناسبة هذا البيت لما قبله غير ظاهرة إلا أن يكون ذكر طيران الروح من أصلها إلى مبدأ الإنسان ذكره بحال الإنسان في هذا العالم، فقال إن الجاهل يبقى كادحاً ... إلخ. وهو يخرج من السياق لأدنى مناسبة.

(٢٦) كأنه يخاطب الله تعالى. يقول: كنت فارغاً من الكبد برويتك ثم صفّاني نهرك فرجعت كما كنت. ويمكن أن تفسر كنت وصرت بالأخبار مجرداً عن الزمان.

(٢٧) يعني أن كل حشرات الروح في هذا العالم من حنينها إلى أصلها.

(٢٨) يجوز أن يكون رجوعاً إلى شكوى صاحب البيغاء من موت طائرته، ويجوز

أن يكون من استطراد الناظم ولا فرق بينهما في القصد. والبيغاء هنا رمز الروح، فسواء أكان هذا حكاية صاحب البيغاء أم قول غيره.

(٢٩) الترجمة اللفظية لهذا البيت هي: تذهب بسرورك وأنت منها مسرور وأنت تقبل الظلم كالعدل. ويمكن أن يؤخذ من هذا أن السرور والغم والعدل والجور منها، أو أن منها الغم والإنسان فرح بها ومنها الجور والإنسان يتوهمه عدلاً.

(٣٠) هذا البيت يحتمل أن يكون معناه هذا. ويحتمل أن يكون معناه احترقت

والمحترق يقبل النار سريعاً فيتخذ لإشعال النار في غيره، والمعنيان متقاربان.

(٣١) كان جلال الدين يملي المثنوي ارتجالاً ويظهر أن قافية استعصت عليه أو

شغلته حيناً فقال هذه الأبيات؛ فإملاؤه كان وحي الخاطر.

(٣٢) يوضع حول البستان شوك ليمنع الناس من دخوله؛ فالحرف عنده حائل

دون المقصود كالشوك الذي يحول دون البستان.

(٣٣) الحرف «ما» في الفارسية بمعنى نحن، وفي شطر البيت السابق «حق ز غيرت نير بي ما هم نزد» وترجمته: غيرة الحق حمته غيرنا، وقد أثار لفظ «ما» الذي هو نفي في العربية وإثبات في الفارسية المعاني التي في هذا البيت وأبيات تالية.

(٣٤) في الأصل وجدت الشخصية في اللاشخصية ففدبت اللاشخصية بالشخصية.
(٣٥) يعني الناظم في البيت الأول من الأبيات الثلاثة السابقة أنه أصاب نفسه في نفيها؛ أي أصاب الوجود الحق حينما خرج من حدود الأهواء وقيود الشهوات، ولم يُبَالِ بمظاهر الوجود الحسي. وأراد في البيت الثاني أن من يعنون بأنفسهم هم خدم للمتواضعين الذين ليس لهم مثل جاههم أو لمن فنوا؛ فالملوك في الحقيقة عبيد لعبيدهم، والناس موتى لموتاهم، يفقدون أنفسهم وراء من يفقد نفسه، وأراد في البيت الثالث أن الصياد لا يظفر بمقصده حتى يجعل نفسه صيداً، وأحسبه يشير إلى احتيال صائد الطائر بإخفاء جسده في الماء ووضع صورة طير على رأسه أو محاكاته صفير الطير لتحسبه طائراً. هذا ما لاح لي في هذه الأبيات.

(٣٦) أحس الشاعر بأنه على وشك الإيغال في كلام لا يريد أن يوغل فيه فقال:
احبس السيل ... إلخ.

(٣٧) في الأصل غريق الحق يريد أن يكون أكثر غرقاً، مثل موج بحر الروح في صعود وهبوط.

(٣٨) يعني أن الصغير من التجليات الإلهية أعظم من الأشياء العظيمة، وكل ما يبذل في هذا السبيل فهو هَيِّنٌ، ويدي فعل مضارع من الدية.

(٣٩) هذا إشارة إلى استعصاء المطالب الإلهية العظيمة عليه كلما حاولها ماطلته.
(٤٠) يريد العلم الدني.

(٤١) تزيد بعض النسخ في العنوان هذه الجمل، ومعنى قوله عليه السلام: «إن سعداً لغيرور وأنا أغير من سعد، والله أغيرُ مني، ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن.» وقد ترجمت بيت سنائي في بيت واحد من الهزج المثنى، وهو في العربية لا يكون إلا رباعياً والهمزة في «أم» مسهلة في الشطرين.

(٤٢) خلاصة هذه الأبيات فيما يظهر أن الحق سبحانه وتعالى يريد لعباده الكمال وأن يرتقوا في الدرجات العالية، ويكره لهم أن يرضوا المنازل الوضيعة، وهم قادرون على المنازل الرفيعة أو يستطيعون أن يجاهدوا من أجلها.

(٤٣) يبين جلال الدين في مواضع المثنوي أن الله سبحانه يحب من عباده الطلب والكدح واحتمال الآلام في سبيل المطالب العالية.

- (٤٤) في الأصل: يا لطيفة الروح في الرجل والمرأة.
- (٤٥) في الأصل فاعذر حسام الدين. وحسام الدين مستملي المثنوي يرجع إليه جلال الدين فضل إنشائه وإكماله، وقد انقطع عن النظم مدة حين غاب حسام الدين، وبين هذا في أول الجزء الثالث.
- (٤٦) في الأصل: الخمر في فورتها تستجدي فورتنا والفلك في الدوران يستجدي صحونا، والمراد أن ثورة الخمر ودور الأفلاك يستمد من ثورتنا ومن صحونا.
- (٤٧) معنى الشطر الثاني في الأصل: عجيب النواح من غير المريض. والظاهر أن جلال الدين يدعو إلى العمل كدأبه ويقول: إن الله سبحانه المستغني عن كل شيء لا يترك العمل، فما هذه المعاذير أيها القاعدون؟ أيها التاركون للعمل وهم عليه قادرون! إنكم أصحاء تعملون عمل المرضى.
- (٤٨) العمُّ: العامَّة.
- (٤٩) كلمة المزاد في الأصل.
- (٥٠) خلاصة الأبيات السابقة: إن للمدح أثرًا في نفس الإنسان سيئًا ولكن الإنسان لا يأبه له ويظن أنه فطن لخدع المادحين، ولكن إن هُجى أحس ألمًا لهذا، فإذا قاس المدح على الهجاء عرف أن له في النفس أثرًا خفيًا ولا ريب.
- (٥١) الضمير في أخفياه يعود إلى التراب والهواء.
- (٥٢) الدواء يريد به الأعشاب التي يتداوى بها.
- (٥٣) هو مجد الدين سنائي الشاعر الصوفي الكبير.

قصة الأسد والوحوش والأرنب

هذه من قصص كليلة ودمنة، وهي كما جاءت في هذا الكتاب:

زعموا أن أسداً كان في أرض مخصبة كثيرة الوحوش والماء والمرعى، وكان لا ينفعهن ما هنَّ فيه من خوفهنَّ من الأسد، فائتمرن فيما بينهن وأتينه فقلن له: إنك لا تصيب منَّا الدابة إلا بعد تعبٍ ونصبٍ، وقد اجتمعنا على أمر لنا ولك فيه راحة إن أنت أمنتنا ولم تُخفنا.

فقال: أنا فاعل. فقلن: نرسل إليك لغدائك كل يوم دابةً منَّا. فرضي بذلك وصالحهن عليه. ووفى لهنَّ بما أعطاهنَّ من نفسه، ووفين له به.

ثم إن أرنباً أصابتها القرعة، فقالت لهنَّ: أي شيء يضركن إن أنتن رفقتنَّ بي فيما لا يضركن، وأريحكنَّ من الأسد؟ فقلن لها: وما ذلك؟ قالت: تأمرن من يذهب معي ألا يتبعني لعلِّي أبطئ على الأسد حتى يتأخر غداؤه فيغضب لذلك. ففعلن بها ما ذكرته.

وانطلقت متتدَّةً حتى جاءت الساعة التي كان يتغدى فيها، فجاج الأسد وغضب، وقام من مريضه يمشي وينظر. فلما رآها قال: من أين جئت، وأين الوحوش؟ فقالت: من عندهن جئت وهنَّ قريب، وقد بعثن معي بأرنب، فلما كنت قريباً منك، عرض لي أسد فانتزعها مني، فقلت: إنها طعام الملك فلا تغضبته. فشتمك، وقال: أنا أحق بهذه الأرض وما فيها منه. فأتيتك لأخبرك.

فقال: انطلق معي فأرينيه. فانطلقت به إلى جبِّ صافي الماء، فقالت: هذا مكانه، وهو فيه وأنا أفرق منه، فاحملني في صدرك. فحملها في صدره، ونظر

في الجب فإذا هو بظلمها وظلّه، فوضع الأرنب من صدره، ووثب لقتال الأسد في الجب وطلبه فغرق.

وانفلتت منه الأرنب ورجعت إلى سائر الوحوش فأعلمتهن بخبره.

هذه هي القصة، ولكن جلال الدين أخذها فتصرف فيها، وتوسل بها إلى الإبانة عن آرائه كدأبه في كثير من القصص، يجعلها وسيلة إلى الإبانة عن مذهبه، ويستطرد، ويُغفل القصة حتى تضيع في الاستطراد، ثم يعود إليها.

وقد ترجمتها منثورة، وجعلت كل سجتين مكان القافيتين في البيت المترجم. ودققت في الترجمة فلم أجد عن الأصل، ولم أزد أو أنقص إلا حين يقتضي هذا البيان العربي، وحين أشعر أن كلمة وضعها الشاعر أو حذفها لضرورة الوزن أو القافية؛ فأتصرف التصرف الذي أحسب الشاعر كان يذهب إليه، لولا الضرورة الملجئة. وأنبه القارئ إلى ما في هذا الفصل من آراء قيّمة لجلال الدين في الجبر والاختيار خاصة، فهو رأي عظيم من أئمة الصوفية، في أمر اختلفت فيه عباراتهم، وغمضت فيه مسالكهم.

القصة

اقرأ في كليلة هذه القصة، واطلب لك منها حصة: ^١

طائفة من الصيد في وادٍ ذي رواء، كانت من الأسد في عناء. كم بغتها ففتك فيها، ونغص عليها مراعي واديهما. فاحتالت واقترت عليه، أن تكفيه بوظيفة تُرسلُ إليه. على ألا يصطاد غير الوظيفة ولا يطغى، حتى لا يُمرَّ عليها هذا المرعى.

الأسد: نعم إن رأيتُ الوفاء لا المكر، فكم رأيتُ المكر من زيد وبكر: ^٢ أنا وقيد الفعل والقول من الإنسان، ولديغ العقرب والثعبان. وإنسان نفسي في ضميري كامن، شرًّا من الناس مكرًّا وضغائن. ^٣ سمعت أذني: «لا يلدغ المؤمن». فأثرت بالقلب والروح قول المؤمن. ^٤

الصيد: أيها الحكيم ذا البصر (الحذر دع ليس يُغني من قدر). كم في الحذر من قلق وضير، فعليك بالتوكل فهو خير. أيها القويُّ الحديد لا تغالب القضاء، فيناصبك القضاء العدا. يجب الموت أمام حكم الحق، لئلا يبتليك ربُّ الخلق.

الأسد: نعم، إن كان التوكل دليلاً يُطلب، فسنة النبيّ الأخذُ بالسبب. الحمد والكسب في التوكل أقوم، لتكون حبيب الحق لا جرم. قد نادى النبي المرسل، اعقل الناقة وتوكل. اسمع (رمز الكاسب حبيب الله)،^٥ ولا يُضعفك في الأخذ بالسبب التوكل على الإله.

الصيد: إنما الكسب من ضعف الخلق، إنها لقمة تزوير على قدر الحلق. لا كسب خير من التوكل، أي أمر من التسليم أجمل؟

رُبَّ هارب من بلاء إلى بلاء ميين، وفارٌّ من الثعبان إلى التنين. كم احتال الإنسان فإذا حيلته شبكة، وإذا الذي ظنه رُوْحًا تهلُكة. أغلق الباب والعدو في الدار، قد احتال فرعون على هذا الغرار. قتل هذا الحقوق آلاف الأطفال، والذي يطلب في داره غير مبال.

كم علة في بصرنا المُريب، فهلم أفنِ بصرك في بصر الحبيب. إن بصره من أبصارنا نعم العوض، وإنك لو اجد في بصره كل الغرض. الطفل إن لم يُعمل يديه ورجليه، لا مركب له إلا عنق أبويه. فإذا صار فضولياً يُعمل الرجل واليد، وقع في عناء دائم وكبد. كانت الأرواح قبل الجوارح طاهرة، من الوفاء إلى الصفاء طائرة. فلما صارت «بأمر اهبطوا» مقيّده، صارت في حبس الحرص والغم والكبح مصفّدة.^٦ نحن رضع وعيال للإله، قال الرسول الخلق عيال الله. إن الذي ينزل المطر بحكمته، قادر على أن يرزق الخبز برحمته.

الأسد: أجل! ولكن رب العباد، وضع لنا مرقاة للإصعاد. فلنصعد الدرجات حتى الذروة، فما الجبر هنا إلا بله وغفلة. إن لك رجلاً فكيف تتظالم؟ وإن لك يدا فلماذا تخفي الأصابع؟ إذا أعطى السيد الفأس عبده، فقد أبان بغير لسان قصده. فاليد كالفأس إشارته، والتفكير في العاقبة عبارته. وإذا أدركت روحك إشارته، بذلت الروح في بلوغ غاياته. تكشف لك إشارات الأسرار، وتيسر أمورك وترفع الأوزار. فتجعلك — وأنت الحامل — محمولاً، وتردُّك — وأنت القابل — مقبولاً. بينما تقبل أمره إذا أنت القائل، وبينما تبغي وصله تصير الواصل. السعي شكر لنعمة القدرة، والجبرية جحد بهذه النعمة. إن شكر القدرة يزيد قدرتك، والجبر يسلب من يدك نعمتك. الجبر نوم في المحجة؛ لا تنم، ما لم تر الباب والسُّدة لا تنم.^٧ إياك والنوم أيها الجبريُّ المحتقر، إلا في ظل ذلك المثمر من الشجر.

لتهز الريح الأغصان كل لحظة، فيساقط عليك النقل والزاد كل لمحّة. الجبر نوم بين قُطاع الطرق، أينجو الطائر بغير جناح يخفق. وإن شمخت على إشاراتك بأنفك، فقد

جهلت ولم تعرف قدرك. وما أوتيت من العقل يذهب، وما الرأس بلا عقل إلا دَنَب. إن كفر النعمة (شؤم وشنار)، يذهب بالجاحد إلى قعر النار. إن كنت متوكلاً فاعمل، ازرع وعلى الجبار توكل.^٨

الصيد: أجبنا أيها المرتاب^٩ عن الزراع الذين زرعوا الأسباب. عن آلاف الآلاف من رجال ونساء، كيف حرموا بعد هذا العناء؟ آلاف من القرون منذ بدأ العالم الله، فاتحة كالتنين مئات الأفواه. مكر هذا الجمع من الأذكياء، مكرًا يزرع الجبال الشَّمَاء. وقد قال في مكرهم ذو الجلال: وإن كان مكرهم لَتَزُولَ منه الجبال.^{١٠} فلم يظفروا من هذا الصبر والعمل، إلا بما قسم لهم منذ الأزل. قعد بهم الجهد والتدبير، وبقيت أحكام الله القدير. لا تعدُّ الكسب إلا اسمًا، ولا تحسبنَّ الجهد إلا وهماً.

جاء^{١١} رجل وقت الغداء عجلان، يעדو إلى دار سليمان. وقد اصفرَّ وجهه وازرقت شفثاه، فسأله سليمان ما دهاه؟ قال نظر إليَّ عزرائيل، نظرة غضبان ذي غليل. قال سليمان: سل ما بدا لك، قال تأمر الريح أيها الملك. أن تحملني إلى هندستان، لعل روحي تصيب الأمان. (كذلك يفر من الفقر الناس، وهم طُعْمَة الحرص والوسواس. خوف الفقر كهذا الفزع، والهند هي الجهد والطمع)^{١٢} فأمر الريح أن تحمله على الماء، إلى أرض الهند في مضاء. وفي الغد ساعة الديوان، قال لعزرائيل سليمان: لقد أفزعت الرجل بالنظر الحديد، فهجر وطنه إلى بلد بعيد. نظرت إليه نظرة غاضبة، فإذا روحه من الهلع زاهبة. عجبًا أتفعل هذا به، لتخرجه من داره وأهله؟ قال: يا ملك العالم المنقطع المثال، لقد أخطأ الرجل وأضلَّهُ الخيال. ما نظرت إليه من غضب، ولكن ملكني إذ رأيتُه العَجَب. فقد أمرني الحق الديان، أن أقبض روحه اليوم في هندستان.

فقلت: لو أن له ألف جناح، ما استطاع إلى الهند الرواح. فلما بلغت الهند بأمر الديان، قبضت روحه في ذلك المكان.

فقس أمور للناس على هذا المثال، وأنعم النظر ودع الخيال. ممن نفرُّ؟ من أنفسنا؟ أيُّ محال! وممن نهرب؟ من الحق؟ أيُّ وبال!

الأسد: أجل ولكن أيها المكابر ألا تستبين، جهد الأنبياء والمؤمنين. وقد مدح الحق تعالى جهدهم، وشكر في الحر والبرد سعيهم. كل ما لهم واحتياهم لطيف، (كل شيء من ظريف هو ظريف^{١٣} نالت شباكهم طائر السماء، وكان كل نقص لهم إلى نماء. فاجهد ما استطعت يا ذا العلاء، في سبيل الأنبياء والأولياء. ليس الجهاد مغالبة المقدور، فهو

كذلك من القضاء المسطور. كافرٌ أنا إن يك في فعل الإنسان، في طريق الطاعة والإيمان خسران. لست مشجوجاً فلا تعصب رأسك، اصبر قليلاً ثم اضحك دهرك. من طلب الدنيا فقد طلب المحال، ومن أراد العُقْبَى فقد ابتغى خير حال. والمكر في طلب الدنيا حُمقٌ، وهو في ترك الدنيا حق.

إنما المكر الحق ما صدع سجنك، والمكر الباطل ما سدَّ منفذك. الدنيا سجن ونحن السجناء، فاهدم السجن واخْلُص من العناء. ما الدنيا؟ هي الغفلة عن الله الصمد، لا الرياش والفضة والزوج والولد. إن المال تحمله من أجل الدين، سماه المال الصالح خير المرسلين.^{١٤} الماء في السفينة لها هلاك، والماء تحت السفينة لها ملاك. نَقَى المالَ والمُلْكَ من قلبه سليمان، فلم يعدَّ نفسه إلا مسكيناً في ذلك السلطان. إن الإبريق المَفْدَم يسير على الماء، طافيا يملأ قلبه الهواء. فإذا حوى الفقير في باطنه الخلاء، سار فوق هذه الدأماء. ولو كان مُلك العالم في يده، لم يكن الملك شيئاً في قلبه^{١٥} فاربط على القلب وعليه اختمن، واملأه هواء كِبْرٍ من لُدُن.^{١٦}

وساق الأسد البراهين على هذا النسق حتى عجز هؤلاء الجبريون عن الجواب. فترك الثعلب والأرنب والغزال، الجدل في الجبر والقييل والقال. وعاهدوا الأسد الهصور، ألا يناله من هذه البيعة محذور. وليأتينه نصيبه كل يوم بغير طلب وجهد. فكانوا كلُّما نالت القرعة واحداً منها ذهب إلى الأسد مسارعاً. فلما دارت على الأرنب هذه الكاس صاحت: إلام هذا الجور؟

الصيد: قد لبثنا هذا الدهر المديد، نبذل الأرواح في الوفاء بالعهود. فلا تُسَى سُمعتنا أيها العنود، اذهب اذهب إلى الأسد غير وثيد.

الأرنب: مهلاً مهلاً أيها الأحبَاء؛ لتخلصوا بمكري من هذا البلاء. لتأمن بمكري أرواحكن، ويرث الأمان أولادكن. كذلك كل نبي في هذه الدنيا، دعا أمته إلى الخلاص من البلوى. عرفت طريق الخروج من الفلك بصائرهم، وإن صَوَّلَتْ في الأبصار مظاهرهـم. رأهم الناس كإنسان العين صغاراً، ولم يعرفوا لإنسان العين مقداراً.

الصيد: أيها الحمار أزع سمعك، واجعل على قدر الأرنب صُنْعَكَ^{١٧} أي غرور هذا وأي ادعاء، لم يخطر على بال الكبراء.

مُعْجَب أنت أو أتيح لنا القضاء، وإلا فكيف يليق بمثلك هذا الهُراء.

الأرنب: أيها الأصدقاء ألهمني الحق اللطيف، ورُبَّ رأيٍ قويٍّ قُدِّرَ لضعيف.

فالذي أوحاه إلى النحل الحقُّ الصمد، لم يُتَّحَ لعمار الوحش ولا الأسد.
ملأتُ بيوتاً من الشُّهد عجاباً، إذ فتح اللهُ لها من العلم باباً. وهل اهتدى الفيل
الكبير، إلى ما علَّمَ الحقُّ دودَ الحرير. وتعلَّم آدم الترابيُّ من الخلاق، فأنار علمه السبع
الطباقي. وغض آدم من قَدَرِ المَلَك، لقد عمي من هو من الحق في شك.
ولزاهدٍ ستمائة ألف سنة، صنعَ كمامة كالعجول المرسنة^{١٨} لئلا يرضع من علم
الدين السديد، ولا يُطيف بهذا القصر المشيد.

هذه الكمامة علوم أهل الحس الوضيع، تمنعهم أن يرضعوا ذلك العلم الرفيع.
قد منحَ الحقُّ قطرة القلب جوهراً، لم يعطه السموات والأبحر^{١٩}.
يا عابد الصورة حتامَ بها تُغر، لم تخلُص روحك المسكينة من الصور.
لو كان الإنسان آدمياً بالشكل، لكان سواءً أحمد وأبو جهل. إن النقش على الجدار
كالآدمي، انظر ماذا ينقص من الشكل السوي؟ تعوز الروحُ هذا التصويرَ الناصر، هلم
فاطلب ذلك الجوهر النادر.

إن كلب أصحاب الكهف حين سُعد، أقرَّ له في العالم كلُّ أسد. ما عابه هذا الشكل
الحقير، إذ غرقت روحه في بحر النور.

وما عُنيَتْ بوصف الصور الأقلام، بل وصفت الكتبُ العدولَ والأعلام. في العالم
والعادل كل المعنى، لا تجده حيثما سرت من الدنيا. يهبط على الجسم من عالم اللامكان،
إنَّ شمسَ الروح تضيق بالفلك والأكوان. لا نهاية لهذا الكلام المعجب، أرجع الفكر إلى
قصة الأرنب.

بع أذن الحمار واشتر أذنًا أخرى، فلن تعي أذن الحمار هذه النجوى.^{٢٠}
اذهب اذهب فانظر لعب الأرنب، كيف خرَّ لمكرها الأسد المعجب.
خاتم مُلك سليمان العلم، العلم روح والعالم جسم. ذل للإنسان بهذا الكمال، خَلَقَ
البحار والصحاري والجبال.

فالنمر والأسد من هيبته كالفار، وفي فزع واضطراب منه تتَّين البحار. وقد تجنَّبه
العفريت والجنِّي، فأوى كلُّ إلى مكان خفي.

وكم للإنسان من عدو مستتر، فإنما الآدمي العاقل من حذر. هذه الخفايا أحياناً
وأشراً، تضرب على قلب الإنسان أسراراً. تذهب للاغتسال في النهر، فيصيبك من الشوك
في الماء ضرر. هو وإن لم تدركه عينك، يخزك فتعلم أنه هناك.^{٢١}

وهناك أشواك الأغراء والوسواس، من آلاف لا واحد من الناس.
فاصبر حتى يتبدل حسك، لترى هذه الخفايا ويسهل صعبك.
وتعلم من كلامه رددت؟ ومن على نفسك سوّدت؟
الصيد: أيها الأرنب الذكي، أبى عن إدراكك الخفي. إيه يا من للأسد تصديت، أعرب
عن رأيك الذي رأيت.

إن المشورة تهب الإدراك والرشد. وكل عقل هو للعقل مدد. قال الرسول: يا ذا
الرأي الحسن، استشر فالمستشار مؤتمن.

الأرنب: لا بد للسر من كتمان، فقد يقع ما ليس في الحسابان.^{٢٢} إن تنفست في
مرآة صافية، غامت ولم تبق لوجهك حاكية. لا تحرك بهذه الثلاثة شفتك، ذهابك وذهبك
ومذهبك. كم لهذه الثلاثة من عدو خصم، يكمن لك إذا بالسر علم، وإن أفشيت له واحد
فالوداع، (كل سر جاوز الاثنين شاع) لا حد لهذا الكلام فعليك الرجوع، قد آلمت الأرنب
الأسد بالجوع.

أخفت الأرنب تدبيرها، ولم يتبين القوم تفكيرها.

مكر الأرنب بالأسد

تأخرت ساعة في المسير، ثم مثلت عند الأسد الهصور. وكان الأسد بما أبطأت في الذهاب،
يزأر ويثير ببرائه التراب.

الأسد: قلت إن عهد هؤلاء اللؤماء، رخو ضعيف لا يثمر الوفاء.
ردتني وسوستهم دون الحمار، كم يخدعني هذا الدهر الغرّار!
ما أعجز الأمير ذا اللحية الحمقاء، حين يشتهه عليه الأمام والوراء.
الطريق سوي وتحتة حباله، واللفظ مونق وفي المعنى جهالة.
الألفاظ والكتب كالشباك لنا، واللفظ الطلو كالرمل لماء عمرنا.^{٢٣}
والرمل الذي ينبجس الماء منه، جد نادر فاطلبه وأسأل عنه.
ذلك الرمل يا بني رجل الله، انفصل عن نفسه واتصل بالإله.
يجيش منه للدين عذب الماء، فللطالين به حياة ونماء.
وغير هذا رمل ظمان، يشرب ماء حياتك كل أن.
اطلب الحكمة أيها الحكيم، فإنما أنت بها بصير وعليم.

يصير منبغاً للحكمة من لها طلب، ويفرغ من تحصيل السبب.
يصير — وهو اللوح الحافظ — لوحاً محفوظاً، ويصير عقله من الروح محفوظاً.
كان العقل له معلماً، فصار تلميذاً متعلماً.

فالعقل كجبريل يقول: يا أحمد معذرة، أحترق إن تقدمت أنملة.
فدعني هنا وتقدّم ولا جناح، ذاك حدّي يا سلطان الأرواح.^{٢٤}
كل من أعجزه الضعف عن الشكر والصبر، توهم أن قيدَ رجله الجبر، ومن تعلل
بالجبر أمرض نفسه، حتى يُورده المرض رمسه.

قال النبي: إن التمارض، يُمرض حتى يهلك المتمارض.^{٢٥}
ما الجبر؟ ربط على المكسور، ووصل العرق المبتور.^{٢٦}
ما رجلك في هذا الطريق كسيرة، فعلى من تضحك بهذه الجبيرة؟
إن الذي انكسرت رجله في النصب، جاء إليه البراق فركب
كان حامل الدين فصار محمولاً، وكان قابل الأمر فصار مقبولاً.
كان يتلقى الأمر من الملك، وهو بعد على الجنود يملك.
كان للكوكب فيه تأثير، وهو بعد على الكوكب أمير.
إن يشكل عليك في هذا النظر، فقد شككت إداً في «انشق القمر».^{٢٧}
فجدد إيمانك باللسان، يا من جدّد هواه في الكتمان.

لا ينضر الإيمان والهوى نضير، ما الهوى إلا قفل هذا الباب الكبير.
قد أولت بنفسك الحرف البكر، أول نفسك لا تؤول الذكّر.^{٢٨}
إنك تؤول القرآن بالهوى، فقد عوّجت وحقّرت سنيّ المعنى.
مَنك مثل هذا الذباب، الذي ملكه بنفسه الإعجاب.^{٢٩}

سكران مُهتاج بغير الصهباء، يخال ذرة ذاته شمس السماء.
وقد سمع وصف الصقور والبيزان، فقال: أنا لا ريب عنقاء الزمان.
ركب هذا الذباب تبنّة في بول حمار، ورفع رأسه كربان البحار.
قال: قرأت عن السفينة والبحر، وقد لبثتُ دهرًا في هذا الفكر.
فهانذا والبحر وإحدى السفن، وأنا الرُّبّان البصير الفطن.
وساق في البحر هذا العمّد، ورأى في هذا مجالاً لا يُحد.^{٣٠}
غيرٌ محدود عنده هذا القدر، فصدّق منه هذا النظر.
هذا عالمه وهذا بصره، وهذه عينه وذاك بحره.

كالذباب صاحب التأويل الواهم، وهَمُّه بول الحمار والتين العائم.
فلو ترك الذباب التأويل بالهوى، صَيَّرَهُ الجَدُّ سَعِيدًا كَالهُمَا.^{٣١}
ولم يكن صاحب هذه العبرة، ولم تبقَ روحه على قدر الصورة.
مثلُ هذه الأرنب التي غلبت الأسد، ولم تكن روحها بمقدار الجسد.

هياج الأسد من تأخر الأرنب

كان الأسد يقول من الحدة والغضب، حين تأخرت الأرنب: أغمض عيني هذا العدو، عن
الجهاد المرجو. مكر هؤلاء الجبريين قيديني، وسيفهم الخشبي أوهى بدني.
لا أسمع من بعد لهذا البهتان، إنه صوت الشياطين والغيلان.
مَرَّقَهَن أيها القلب وأقدم كالأسود، واسلخ جلودهن فما هنَّ إلا جلود.
ما الجلد؟ الأقوال المزوَّقة الجوفاء، لا تلبث كنعش الدرع على الماء.^{٣٢}
هذا الكلام كالكشر واللُّباب معناه، هذا الكلام كالصورة والروح مغزاه.
القشر يُخْفِي من اللب الرديء العيب، وهو للُّب الحسن ستر من الغيب.
إن كان القلم من الهواء والورق من الماء، فكل ما تكتب سريع الفناء.
وإن طمعت أن يبقى نقش الماء لديك، رجعت عاضًا على يدك.
والهواء في الإنسان طمعه وهواه، فإن تركت الهوى فرسالة الله.^{٣٣}
ما أجمل رسالات الرحمن، التي تثبت كلها على الحدِّثان.
تزول خُطَب الملوك والعظماء، ولا تزول خطب الرسل والأنبياء.^{٣٤}
بأن هيبة الملوك من الهواء، وعظمة الأنبياء من الكبرياء.^{٣٥}
أسماء الملوك من الدراهم تُمحي، ولكنَّ اسم أحمد أبدًا يبقى.
وأسماء الأنبياء جميعًا في اسم أحمد، كما تتضمن المائة العقود في العدد.
هذا القول يا بني لا يُحدِّ، نعود إلى قصة الأرنب والأسد.

بيان مكر الأرنب وتأخرها في الذهب

أخَّرت الأرنب سيرها، وأحكمت في نفسها مكرها. ثم سارت بعد تلبُّث طويل، لتُسِرَّ إلى
الأسد بعض القيل.
أيُّ عوالم يتضمنها العقل الباهر، وأي سعة في بحر العقل الزاخر.

عقل البشر بحر لا يحدُّ خِصَم، لا بد يا بني من غواص لهذا اليم.
 وصورتنا في هذا البحر العذب، كالآنية على الماء تذهب.
 هي ما لم تمتلئ كالطست على الماء يُزجيه، فإن امتلأ الطست رسب فيه.
 عالم ظاهر والعقل خفي، صورتنا موج أو قطرة من هذا اللجّي.
 كل ما اتخذته الصورة وسيلة، رماه البحر بعيداً بهذه الحيلة.
 إذا لم ير القلبُ مُوجي الأسرار، ولم ير السهمُ الرامي المغوار.
 فهو يحسب جواده مفقوداً، وهو راکضُ جواده مجهوداً.^{٣٦}
 يفتقد فرسه هذا الفارس ويصيحُ، وفرسه يجري به كالريح.
 يعدو في صياح ونشدان، سائلاً طالباً في كل مكان:
 من سرق حصاني؟ وأين السارق؟ فما الذي تحتك أيها السيد الحاذق؟ أجل هذا
 حصان ولكن أين الحصان؟ ارجع إلى نفسك أيها الفارس الحيران.
 الروح من الظهور والقرب في خفاء، كالحبِّ حافته يابسة وباطنه ماء.^{٣٧}
 إنك لا ترى الأحمر والأخضر، قبل أن ترى النور الأظهر.
 ولكن ضلّ في الألوان العيان، فحالت بينك وبين النور الألوان.
 فإذا حجب الليلُ الألوان عن الظهور، علمت أن رؤية الألوان بالنور.
 لا يرى اللون بغير النور الخارجي، فكذلك لون الخيال الباطني.
 هذا الظاهر من الشمس والسُّها، وهذا الباطن عكس أنوار العلي.^{٣٨}
 نور العين من نور القلوب يبين، فنور القلب نورُ نورِ العيون.
 ثم نورُ نورِ القلب نور الله، منزلها عن نور الحسِّ والعقل تراه.
 إن ذهب النور لم تر اللون في الحلك، فالنور بالضد يظهر لك.
 رؤية الألوان إذاً من رؤية النور، بضد النور تعرفه دون تأخير.
 وقد خلق الله الغمَّ والألم، ليتبين السرورُ في الأمم.
 فالخفايا بأضدادها تظهر، والحق لا ضد له فهو مضمّر.
 يقع النظر على النور ثم الألوان، فيظهر الضد بالضد كالبيض والسودان.^{٣٩}
 فقد عرفت أنت النور بضد النور، فالضد من ضده في ظهور.
 ولا ضد في الوجود لنور الحق، ليتمكن بالضد إظهاره في الخلق (لا جرم أبصارنا لا
 تدركه. وهو يدرك) فات موسى دركه.^{٤٠}
 الصورة من المعنى كالأسد من الغابة، وكأصوات الكلام من الفكر وثّابة.

هذا الصوت والكلم من الفكر صدر، وأنت لا تعلم بحر الفكر أين زخر.
ولكنك حين ترى موج الكلام لطيفًا، تعرف بحره كذلك شريفًا.
فلما اضطرب عن العلم موج الفكر، فاتخذ من الصوت والكلام الصُور.
ولدت من الكلام الصورة ثم فنيت، وذهبت الأمواج إلى البحر فارتمت.
فالصورة ظهرت من غير الصورة للعيون، ثم رجعت «إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ».
لك كل لحظة موت ورجعة، قال المصطفى: الدنيا ساعة ...
فكرنا سهم من «هو» في الهواء، يرجع إلى الله ما له في الهواء بقاء.
فالدنيا كل نفس تتجدد، ونحن في غفلة بالبقاء عن التجدد.
والعمر كالنهر كل حين يُجَد، ويبدو استمراره في الجسد.
تتوهم من السرعة أنَّه استمر، كما تحرك يدك سريعًا بالشرر.^{٤١}
تحرك يدك القصبية المشتعلة، فتبدو للنظر نارًا متصلة.
هذا الاتصال والمدة من السرعة، فهما يمثلان السرعة في الصنعة.
طالبَ هذا السر إن تكن علامة فعليك، بحسام الدين فهو كتاب رفيع لديك.^{٤٢}

وصول الأرنب إلى الأسد

بينما الأسد في نار وغضب شديد، رأى الأرنب مقبلة من بعيد.
تجرى جريئة مقدمة، مسرعة غاضبة متجهمة.
إن في الانكسار تهمة مُريية، وفي الجراءة دفع كل ريبة. فلما قاربت الصف، صاح
الأسد: أيها المخلف!
أنا الذي مزقت الفيلة وتركت الأسود أذلة. فما نصف أرنب عندنا، لتضرب بالأرض
أمرنا.

دعي نوم الأرنب وغفلتها، واسمعي من الأسد زارتها.

الأرنب: عفوًا عفوًا فلي العذر، إذا عفوت يا ربَّ الأمر.
الأسد: أي عذر لتقصير البلهاء، حين يمثّلون أمام الأمراء.
أنت طائرٌ مُخلفٌ فليقطع رأسك بالحق، يجب ألا يسمع عذر الأحمق.^{٤٣}
عذر الأحمق أقبح من الجرم، وعذر الجاهل لكل معرفة سُم.
عذرك أيتها الأرنب من المعرفة خليّ، لستُ أرنبًا فتسيغيه في أدنّي.^{٤٤}

الأرنب: أيها الملك عُدْ لا شيئاً شيئاً، واستمع لعذر المظلوم جلياً.^{٤٥}
أدّ زكاة جاهك وصولتك، ولا تطرد الضالَّ من حضرتك.
إن البحر الذي يمدُّ الأنهار بالماء، يحمل على رأسه ووجهه كل غُثاء.
ولن ينقص البحرَ هذا الجود، لا ينقص البحر بالكرم ولا يزيد.
الأسد: إنني آتي الكرم مع أهله، وأفصل ثوب كل واحد على قدّه.
الأرنب: استمع، فإن لم أجد عندك اللطف، تحدّيت برأسي تنين العنف: سرت وقت الغداء في طريقي، مقبلة إلى الملك مع رفيقي.
كان معي أرنب للملك الجليل، قرينين كنّا ورفيقي سبيل.
فقصّد أسد إليّ على الطريق، وكذلك قصد إلى ذاك الرفيق.
قلت: نحن عبيد ملك الملوك، وكلُّ في هذه السُدّة مملوك.
قال: مَنْ ملك الملوك، ألا تخجلين؟ أعندي اسم الأوباش تذكرين؟
أمزّك وأمزق مالك، إن صدفت عن بابي أنت وصاحبك.
قلت: فدعني إلى مرة أخرى، لأرى الملك فأحدّث عنك ذكراً.
قال: فارهنني إذا رفيقك، وإلا فأرى تمزيقك.
وتضرعنا كثيراً فما أجدى، أخذ رفيقي وتركني فردا.
وكان رفيقي ثلاثة أمثالي في السمن، وكذلك كان في اللطف والجمال والبدن.
قُطعت بهذا الأسد طريقنا، وقد أخبرناك وهذا أمرنا.
فأأس بعدُ من الوظيفة ولا تنتظر، الحق نقول لك (والحق مُرّ).
إن أردت الوظيفة فطهّر الطريق، هلم فادفع عنّا هذا الصفيق.
الأسد: بسم الله، هلم فأريني أين يقيم، تقدمي إن كنت نا قول مستقيم.
لأجزيه عن جرمه مائتين، وإن كنت كاذبة جعلت هذا جزاء المين.
فتقدمت كالدليل أمامه، لتقوده إلى شركٍ قُدّامه. إلى برٍّ عميقة قد أعلمتها، وشركاً لروحه جعلتها.

تقدم كلاهما حتى قاربا الجُبِّ، كالماء تحت التين هذه الأرنب.
يحمل الماء الغثاء إلى البيداء، فوا عجباً كيف يحمل الجبل الماء.^{٤٦}
كان مكرهما للأسد جباله، فأعجب من أرنب لأسد مغتالة.
استجرّ فرعون وجنده الثقيل، موسى واحداً إلى نهر النيل.^{٤٧}
وقد شقت رأس نمرود الطمّاح، بعوضة واحدة بنصف جناح.

ذاك حال من استمتع للعدو اللدود، وجزاء من صادق الحسود.
 وحالُ فرعونٍ أصاخ لهامان، وحال نمرودٍ أطاع الشيطان.^{٤٨}
 عدوٌّ وإن ادَّعى الحُب، وشبكةٌ وإن حدَّثك عن الحَب.
 إن أعطاك عسلًا فاعلمه سَمًّا، وإن أراك لطفًا فاعرفه قهراً وغمًّا.
 لا ترى غير الظاهر إذا حُمَّ القضاء، ولا تميز الأعداء من الأصدقاء.
 فإذا نزل هذا فعليك الإبتهال، والتضرع والصوم وتسبيح المتعال.
 اضرع وقل يا علام يا ديَّان، لا تحطمننا بِرَحَى الامتحان.
 إن فَعَلْنَا فعل الكلاب يا خالق الآساد، فلا تجعل الأُسْد لنا بالمرصاد.
 (يا كريم العفو ستارَ العيوب)، لا تَوَاخِذْنَا بأوقار الذنوب.
 لا تعط صورة النار للماء اللطيف، ولا صورة الماء للهب المخيف.
 إنك إن تُسكِرْنَا بشراب القهر، صَوَّرتَ المعدوم كالموجود للفكر.
 ما السكر؟ أن تُحَجِّبَ العين عن البصر، فترى اللطيف كالخشن، والجوهر كالحجر.
 ما السكر؟ أنَّ الحِسَّ يُبَدِّل، فإذا الطرفاء في النظر كالصندل.

إحجام الأرنب حينما اقتربت من الجب^{٤٩}

وحينما اقترب من الجب الغَضَنَفِر، رأى الأرنب مُحجَمة تتقهقر.
 الأسد: لماذا أحجمت ولم تُقدِّمي، لا تقفي الرِجْل ولا تُحجِّمي.
 الأرنب: أين رجلي؟ زهبت الرجل واليد، لقد زال قلبي وجسمي ارتعد.
 ألا ترى وجهي كالذهب أصفر، في لوني عن ضميري خَبَر.
 سمَّى الحقُّ السِيما مُعَرَّفَةً، فلعين العارف بالسِيما مَعْرِفة.^{٥٠}
 إن لون الوجه نَمَام كالجرس، ويُنْبِيك عن الفرس صوت الفرس.
 في صوت كل شيء عنه إعراب، لتعرف صوت الحمار من صوت البَاب.
 قال الرسول لتُميِّز الإنسان: «المرء مخبوء تحت اللسان.»
 لون الوجه يحدِّث بحال القلب، فارحمني وأشعر قلبك الحب.
 إنَّ في حمرة الوجه صوتَ الشكر، وفي صفرة الوجه الجزع والنُّكْر.
 قد دهاني ما غلَّ رجلي ويدي، وذهب بلوني وسيمامي وجَلدي.

هذا الذي إن مسَّ شيئاً كسره، ويخلع من جذورها كل شجرة.
قد دهاني ذا الذي من هوله مات، الأدمي والحيوان والجماد والنبات.
دع هذه الأجزاء فالكلييات، منه فاسدة الريح مصفّرات.
فالعالم صابر حيناً وحيناً شاكر،^{٥١} والبستان حيناً ذابل وحيناً ناضر.
بل الشمس التي تطلع كالنار، تراها ساعة أخرى في اصفرار.
بل الكواكب التي تضيء الآفاق، تُبلى في الحين بعد الحين لاحتراق.^{٥٢}
والقمر الذي يفوق النجم في الجمال، يرده النَّصَب دقيقتاً كالخيال.
وهذه الأرض الساكنة الطائفة، يجعلها الزلزال للحِمَى ضارعة.
وهذا الهواء وهو بالروح مقترن، إن جاء القضاء فهو وباء عفن.
وأخو الروح الماء النмир، يُمر ويكدر ويأسن في الغدير.
والنار ذات الصلْف والكبرياء، تهب عليها ريح بالفناء.
ومن اضطراب البحر وزخيره، تدرك تغيراً في شعوره.
والفلك الحائر الذي لا يفتّر، حاله كحال أولاده في تغير.
فهو بين الحضيض والوسط والأوج، وفيه من النحس والسعد فوج بعد فوج.
أيها الجزئي المركب من الكليات! اعرف في نفسك حال المنبسطات.^{٥٣}
للكلييات نصّب وغم، فكيف يخلو جزؤها من الهم.
لا سيما جزئي من أضداد مُجتمع، من ماء وتراب ونار وهواء جُمع.
ليس عجباً أن تفرّ الشاة من الذيب، العجب أن يكون لها منه حبيب.
إنّ الحياة من اصطلاح الأضداد، والموت أن يقع بينها تعاد.
لطف الحق قرّب بين العدوّين، وألّف بين الضدّين.
فالعالم عليل سجين، والعليل بالفناء قمين.^{٥٤}

سؤال الأسد عن سبب توقف الأرنب

سأقت الأرنب المواعظ للأسد، قالت أمسكت هذه القيود الرجل واليد.

الأسد: أبيني عن أسباب هذا المرض، عن السبب الخاص فإنه الغرض.
الأرنب: ذلك الأسد في هذا الجب ساكن، في هذه القلعة من الآفات آمن.
(يؤثر قعر الجب العاقل الأريب؛ لأن في الخلوة صفاء القلوب) ظلمة الجب خير من ظلمات الخلق، ومن استمسك بالخلق أوداه الحُقم.
الأسد: تقدّمي فإن بطشي له قاهر، انظري! أهذا الأسد في الجب حاضر؟
الأرنب: إن قلبي بهذه النار احترق، فإن تحملني في صدرك لا أفرّق.
لأستطيع بحمايتك يا معدن الكرم، أن أفتح عيني على الجب والظلم.

نظر الأسد في الجب ورؤيته عكسه وعكس الأرنب

فلما حملها الأسد على صدره الرحب، أقبلت في حمايته إلى الجب.
فلما نظرا معاً في الماء، عكس صورتها الضياء.
رأى الأسد صورته في الماء فاعجب، صورة أسد في حضنه أرنب.
رأى خصمه في الماء فملكه الغضب، فألقى الأرنب وفي البئر وثب.
وقع في البئر التي كان حفر، وحاق به ظلمه وما غدر.
الجب الظلم ظلم الظالمين، كذلك قال كل العالمين.
ومن كان أظلم فبئره أهول، قال العدل: الشر للشر ° مؤهل.
يا من بالجاه تظلم سواك، إنما تحفر بئراً لرداك. °
لا تنسج على نفسك كدود الحرير، إنما تحفر لنفسك فاحفر بتقدير.
لا تظن الضعفاء بغير نصير تخشاه، واقرأ في القرآن: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾.
إن تكن على خصمك كالفيل، فقد دهمتك الطير الأبايل. °
إذا التمس الضعيف على الأرض الأمان، ضجّ في السماء جند الرحمن.
وإن أدميت الضعيف بأسنانك، وجعت أسنانك فانظر لشانك.
رأى الأسد نفسه في عتوّ، فلم يعرف نفسه من العدو.
حسب العدو صورة نفسه؛ فلا جرم سلّ سيفه على رأسه.
كم من ظلم تراه في غيرك، وإنما فيه صورة طبعك.
انعكس فيهم لا جرم كونك، غرورك ونفاقك وظلمك.
هذا أنت فإنما لنفسك الطعنة، وعلى نفسك تنسج خيوط اللعنة.

وأنت لا ترى في نفسك هذا السوء، وإلا رأيت نفسك العدو المشنوء.
 إنما تحمل على نفسك أيها الغافل، كما حمل على نفسه الأسد الجاهل.
 فإذا بلغت قعر طبعك؛ علمت هذه الدناءة في خلقك.
 وقد تبين الأسد إذ القعر حواه، أن ما توهمه غيره كان إياه.
 كل من أذل الضعيف الراغم، فهو كهذا الأسد الواهم.
 يا من رأى بوجه العم الخال المنقّر، هذا عكس خالك من العم لا تنفر.^{٥٨}
 (المؤمن مرآة أخيه)، خبر عن الرسول نرويه.
 وضعت على عينك زجاجة زرقاء، فازرقت أمامك الأرض والسماء.
 إن يكن ازرق زجاج كوتك، ازرق ضوء الشمس في نظرك.
 لا تغم فهذا اللون منك بدا، فالخ نفسك إذا ولا تلح أحداً.
 لو لم ينظر المؤمن بنور الله، لم ينكشف له الغيب بما حواه.^{٥٩}
 ولك أنت بنار الله نظر، فلست تميز بين خير وشر.
 سلط النور على النار حيناً بعد حين، لتصير نارك نوراً أيها المسكين.

مناجاة!

وأنت يا رب فانصَح هذا الماء طهوراً؛ لتعود نار العالم كله نوراً.^{٦٠}
 ماء البحار كلها طوعُ أمرك، والماء والنار ملك يدك.
 إن تشأ تصير النار ماء طيباً، وإن تشأ صار الماء نفسه لهباً.
 وهذا الطلب فينا هو من صنّعتك، والخلاص من الظلم من عدلك.
 هذا الطلب بغير طلب منحت، وكنز الإحسان على الناس فتحت.

تبشير الأرنب الصيد بأن الأسد وقع في الجب

لما فرحت الأرنب بالنجاة، جرت لتقاء الصيد في الفلاة.
 رأَت الأسد في الجب هوى، فعدت راقصة حتى المرعى.
 صفقت بيديها حين أفلتت من الفناء، ناضرة راقصة كالورق والأغصان في الهواء.
 خلصت من حبس الطين الأوراق والأغصان، فرفعت رءوسها فهي والريح سيان.
 لما شق الورق الأغصان وانتشر، وسارع إلى ذرى الشجر.

تغنَّت بلسان «الشطء» حامدة، كل ورقة على حدة:
قد ربّى أصلنا ذو العطا، حتى استغلظ الشجر واستوى.^{٦١}
والأرواح المرتهنة بالطين والماء، جذلة القلب حين تخلص من العناء.
ترقص في نور عشق الحق، كالبدر منيرة لا تُمحَق.
ترقص الأجسام والأرواح فلا تسَل، كيف فرح الأرواح والجذَل!
رمت الأرنب الأسد بالعطب؛ خزيًا لأسد يعجز عن أرنب!
ومع هذا العار يا للعجب! يريد بفخر الدين أن يلقب.^{٦٢}
يا أسدًا في هذه البئر تردّي! نفسك كالأرنب لك منها ردى.
أرنبٌ نفسك لها في المرعى مجال، وأنت ثاوٍ في بئر القيل والقال.

جاءت الأرنب تسعى في حبورٍ (أبشروا يا قوم إذ جاء البشير)

بشرى بشرى أيها الجمع المنعم! إن كلب جهنم عاد إلى جهنم.
بشرى بشرى فعدو الأرواح المارق، حطم أنيابه قهر الخالق.
إن الذي حطم الهام بقبضته، قد قَمّه الموت بغرفته.^{٦٣}

اجتماع الصيد حول الأرنب والثناء عليها

واجتمعت الوحوش كلها في زحام، في سرور وضحك وطرب وهيام.
تحلّقن حولها وهي بينهنّ كالشمع، وسجدن وقلن لها أوعي السمع:

الوحوش: أجنّية أنت أم ملك سماوي؟ بل أنت عزرائيل كلّ أسد قوي: أرواحنا فداؤك ما حييت، حُزرت السابق، سلّمت وحييت.

أجرى الحق هذا الماء في نهرك.^{٦٤} مرّحى لعضدك! مرّحى ليدك.
أبيني أبيني كيف مكّرت به! هذا الجبّار كيف بمكرك صرعته!
أبيني ففي القصة دواء الجراح، أبيني إنها بلسم الأرواح.
الأرنب: إنه تأييد الله أيها الكبراء، وإلا فما أرنب على الغبراء؟
وهبني القوة وأنار قلبي، وأمدّ نور القلب رجلي ويدي.
من عند الحق يأتي التفضيل، ثم من عند الحق يكون التبديل.
ويداول الحق هذا التأييد، بين أهل الرجاء والبصر السديد.

نصح الأرنب الصيد ألا يفرحوا بهذا فإنه مجرد عون الحق لا بقوتنا

الأرنب: بملك النوبة لا تُسرّ، يا أسير النوبة لا تحسبن أنك حُرّ. ٦٥
الذي مُلكه فوق النوبة يُنظم، تضرب له النوبة فوق الأنجم.
أعلى من النوبة الملوك المخلدون، وهم مع الساقى أبداً ينعمون.
إن تتركّن هذا الشراب قليلاً، نعمت بشراب الخلد سلسبيلاً.

تفسير رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر

يا سادة قد قتلنا خصمنا الظاهر، وشرّ منه خصم السرائر.
قتله ليس من عمل العقل والنظر، وليس في قدرة الأرنب هذا الأسد المضمّر.
نفسك جهنّم، وجهنم تننّ، لا يُنقَع بالبحار ولا يستكين.
تشرب سبعة الأبحر هذه المحرّقة، ولا تنقص بالبحار لها حُرقة.
يدخلها الأحجار والكفار، الذين قست قلوبهم كالأحجار.
ثم لا تسكن هذا الغداء، حتى يأتيها من الحق النداء: هل امتلأت؟ فتقول: لا يا
خلاق، هأنذا، وهذه الحرارة والإحراق.

التقمت عالماً وبطنها يستزيد، صائحاً إليه (هل من مزيد؟)
فيضع عليها الحق القدم من (لا مكان)، فتسكن حينئذٍ بأمر (كن فكان).
ونفوسنا هذه جزء جهنم، وطبع الكل في الأجزاء لا جرم.
وليست إلا قدم الحق تقتلها، ومن غير الحق يذلها؟ ٦٦
فاستقم كالسهم من القوس انطلق، فغير المستقيم من القوس لا يُطلق.
قد فرغت من حرب العلانية، فتوجهت إلى الحرب الخافية.
(قد رجعنا من الجهاد الأصغر)، مع النبي إلى الجهاد الأكبر.
أسأل الله القوة والتوفيق والإسعاف، لأقلع بالإبرة جبل قاف!
ليس أسداً من على الصفوف هجم، إنما الأسد من لنفسه حطم.

هوامش

- (١) قصة وحصة تستعملان معًا في الفارسية والتركية. ويراد بالحصّة العبرة.
- (٢) زيد وبكر بلفظهما في الأصل الفارسي.
- (٣) إشارة إلى الحديث: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك.»
- (٤) إشارة إلى الحديث: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.»
- (٥) هكذا جاء في الأصل. وكل جملة أو تركيب أضعه بين قوسين كبيرين فهو في الأصل بلفظه العربي.
- (٦) أمر اهبطوا، هو ما جاء في قصة آدم وإبليس: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ ... إلخ.
- (٧) جاءت القافية مردوفة بكلمة لا تنم في الأصل فأبقيتها في الترجمة وجعلت السجع في المحجة والسدة.
- (٨) الجبار هنا من جبر الكسر ونحوه.
- (٩) هذه الفقرة ليست في الأصل، وفي الأصل: صاحوا جميعًا عليه. واقتضى ترتيب المحاور أن أحذفها فوضعت هذه الفقرة مكانها.
- (١٠) في الأصل: «لتزول منه أقال الجبال» بهذه الألفاظ العربية وبين أن الناظم يحاول أن يدخل الآية في نظمه فوضعت الآية في الترجمة.
- (١١) في الأصل هنا عنوان: نظر عزرائيل إلى رجل والتجاء الرجل إلى سليمان وتقرير ترجيح التوكل على الجهد وقلة فائدة الجهد. ولم أثبت العنوان في المتن ليترد الحوار.
- (١٢) وضعتها بين قوسين لأنها معترضة في أثناء القصة ولا تساير كلام الرجل.
- (١٣) جاء هذا الشطر غريبًا في الأصل وهو يوزنُ بتسكين الواو في «هو».
- (١٤) إشارة إلى حديث: نعم المال الصالح للرجل الصالح.
- (١٥) يريد أن حب الدنيا ليس بما تملك اليد، بل بما يستكنُّ في القلب؛ فالإنسان ربما تتصرف يده في الدنيا وهو زاهد لأن الدنيا ليست في قلبه، فالدنيا — كما قال — الغفلة عن الله والسير مع الهوى لا المال والزينة ... إلخ.
- (١٦) املأه من العظمة والاستغناء الذي يفيضه الله من لدنه.
- (١٧) في الأصل:

قوم كفتندش كه اي خرکوش دار خويش را أندازة خرکوش دار

وقد جانس الناظم بين خرکوش بمعنى الحمار والأذن وخرکوش بمعنى الأرنب.
 (١٨) يعني إبليس ضلّ فلم ينفعه زهده وعبادته. والضمير في صنع لآدم أو لله.
 (١٩) يعني بقطرة القلب: القلب الصغير كالقطرة.
 (٢٠) في الأصل:

كوش خر بقروش وديكر كوش خر كين سخن را در نيابد كوش خر

وظاهرٌ ما فيه من الجناس.

(٢١) هذا مثل للضرر الخفي الذي يصيب الإنسان وهو لا يبصره.
 (٢٢) في الأصل: جفت طاق أبد كهي كه طاق جفت. والمعنى أن الأمور تتبدل ولا تثبت على حال.

(٢٣) يعني يهلكنا كما ينشف الرمل الماء.

(٢٤) إشارة إلى قصة المعراج أن جبريل حينما اقترب من السدرة وقف فسأله الرسول: لما تأخرت؟ فقال: يا أخي لو دنوت أنملة لاحتترقت. وقد وقع في كلام الصوفية مقابلة العقل بالعشق، ووصف الأول بالعجز بجانب الثاني؛ فالعقل يدرك الجزئيات ويجنب عن الهجوم على الحقائق الكبرى، وإن حاولها لا يبلغها، والعشق يمضي قدمًا إلى الحبيب لا يبالي الأهوال، وقد جاء في كلام محمد إقبال رحمه الله، وهو شاعر صوفي متفلسف: «أبو علي في غبار الناقاة ضل، وأخذت يد الرومي ستر المحمل. ذاك دار فوق اللجة كالغثاء، وذا غاص على الدر في الماء.» وأبو علي هو ابن سينا الفيلسوف، والرومي جلال الدين الصوفي. أبو علي مثل الباحث بالمنطق والعقل، والرومي مثال الطالب بالوجدان والعشق.

(٢٥) إشارة إلى حديث يُروى: «لا تمارضوا فتمرضوا فتموتوا.»

(٢٦) يعني أن الذهاب إلى الجبر كالعصابة على العضو المكسور، إنما تكون لعة تحتها؛ فالعاجز يتعلل بالجبر والعلة في نفسه.

(٢٧) إشارة إلى الآية: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾.

(٢٨) الحرف البكر عبارة الأصل. ويريد به الكلام الذي لم يُسبق إليه كما يقال معنى بكر.

(٢٩) في الأصل هنا عنوان: تأويل الذباب الركيك.

(٣٠) كلمة العمد في الأصل وأراد بها خشب السفينة.

(٣١) الهما طائر خرافي زعم الفرس أن من يقع ظله عليه يصير ملكًا، ومنه كلمة همايون.

(٣٢) كلمة بوست بالفارسية: بمعنى الجلد وبمعنى القشر.

(٣٣) المعنى إن خلت النفس من الهوى تلتقت الإلهام من الله.

(٣٤) الخطب يراد بها كلام هؤلاء أو ذكروهم في الخطب.

(٣٥) الكبرياء تقال في الشعر الفارسي في معنى ذي الكبرياء؛ أي الله تعالى.

(٣٦) الخلاصة أن الإنسان يغفل عن نفسه وأسرارها أو عن خالقه ويطلب ما غفل عنه بعيدًا، وهو قريب منه لو تأمل.

(٣٧) الحُبُّ جرة كبيرة للماء وهو الزير بلغة مصر.

(٣٨) جاء السها في الأصل وأبقيته في الترجمة وإن كانت القافية هي التي جعلته قرين الشمس، ولعل الناظم أراد أن يجمع بين أظهر الكواكب وأخفاها.

(٣٩) في الأصل كالزنج والروم.

(٤٠) إشارة إلى قصة موسى في الآية الكريمة: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْ اَنْظُرْ اِلَيْكَ ۗ قَالَ لَنْ تَرَانِيْ وَلَكِنْ اَنْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ فَاِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِيْ ۗ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾. وقد جاء ما بين القوسين عربيًا موزونًا في الأصل بتسكين الميم في جرم والكاف في يدرك. وتكملة البيت فارسية.

(٤١) يعني أن العالم والعمر في تجدهما يُريان مستمرين وهما في الحقيقة يظهران لحظة بعد أخرى، ومن سرعة المرور تتصل هذه اللحظات كما يحرك الإنسان يده بعود مشتعل فيرى دائرة من النار.

(٤٢) يريد حسام الدين چلبي صديق جلال الدين ونجيبه.

(٤٣) طائر مخلف ترجمة مر ع بي وقتي ويراد به الديك الذي يصيح في غير أوقات الصباح، وجزاؤه أن يذبح.

(٤٤) خرکوش وهو الأرنب بالفارسية معناه أذن الحمار؛ لأن أذن الأرنب طويلة. وقد تلعب الناظم بهذا اللفظ كثيرًا، ويشير إلى هذا في هذا الشطر؛ إذ يقول: لست أرنبًا. كأنه قال: لست أذن حمار.

(٤٥) في الأصل. كفت اي شه نا كسي را كس شمار، أي عد اللا إنسان إنساناً أو
اللا شخصاً شخصاً.

(٤٦) يعني كيف خدعت الأرنب التي هي كالماء الأسود.

(٤٧) في الأصل موسى بياء التنكير الفارسية والمعنى: واحد كموسى، فنكرت موسى
ونونته مجارة للأصل.

(٤٨) كذلك نكرت فرعون ونمرود هنا مجارة للأصل.

(٤٩) حذف فصلاً فيه ستون بيتاً يشتمل على قصة سليمان والهدهد، ومغزاها:
إذا جاء القدر عمي البصر.

(٥٠) يشير إلى الآيات: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾، ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ ...
إلخ.

(٥١) يعني حيناً في غم وحيناً في سرور.

(٥٢) احتراق النجم اختفاؤه بمقابلة نجم آخر.

(٥٣) يعني البسائط.

(٥٤) خوف الأرنب من الأسد الذي في الجب ساق إلى هذا الحديث الطويل في بيان
أثر الخوف في المخلوقات، ثم بيان أن كل شيء في تغير لا يدوم على حال، ثم بيان أن
العالم مؤلف من أصداد ... إلخ.

(٥٥) الشر هنا صفة التفضيل، يعني الأسوأ للأسوأ. وهي إشارة إلى الآية الكريمة:
﴿الْحَبِيبَاتُ لِحَبِيبَتَيْنِ وَالْحَبِيبُونَ لِحَبِيبَاتٍ﴾.

(٥٦) قابل الناظم جاه وهي البئر بالفارسية بكلمة جاه بالعربية.

(٥٧) إشارة إلى السورة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾.

(٥٨) أراد الناظم هنا أن يجمع كلمة الخال والعم للتورية، والعم هنا أخو الأب أو
جمهور الناس.

(٥٩) إشارة إلى الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله.»

(٦٠) يريد أن يطفئ نار الشهوات والأحقاد ليحل محلها نور العقل والحق.

(٦١) أشار في هذا البيت والذي قبله إلى الآية: ﴿كَرَزِعَ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ

فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾. والكلمات العربية «ذو العطا» «واستغلظ» و«استوى» جاءت في
الأصل.

(٦٢) قال بعض الشراح: يحتمل أن يكون في هذا تعريض بفخر الدين الرازي،
وكان بينه وبين جلال الدين ووالده والصوفية عامة نفور.

قصة الأسد والوحوش والأرنب

(٦٣) الغرفة المكنسة الكبيرة.

(٦٤) يعني أيدك الله وأمدك.

(٦٥) يريد بملك النوبة الملك الذي يتناوبه الناس فلا يدوم لأحد.

(٦٦) في الأصل لا يشد قوسها، وهذا كناية عن القهر والتذليل.

مقدمة الجزء الثالث من المشوي

المقدمة العربية

الحكم جنود الله يقوِّي بها أرواح المريدين، وينزّه بها علمهم عن شائبة الجهل، وعدلهم عن شائبة الظلم، وجودهم عن شائبة الرياء، وحلمهم عن شائبة السّفه، ويقرّب إليهم ما بعدَ عنهم من فهم الآخرة، وييسر لهم ما عسر عليهم من الطاعة والاجتهاد. وهي من بيّنات الأنبياء ودلائلهم، تخبر عن أسرار الله وسلطانه المخصوص بالعارفين، وإدارته الفلك النورانيّ الرحماني الدُّريّ الحاكم على الفلك الدخاني الكريّ كما أن العقل حاكم على الصّور الترابية وحواشها الظاهرة والباطنة. فدوران ذلك الفلك الروحاني حاكم على الفلك الدخانيّ الكريّ، والشهب الزاهرة والسُّرج المنيرة والرياح المنشأة، والأراضي المدحيّة، والمياه المطردة نفع الله بها عباده وزادهم فهمًا. وإنما يفهم كل قارئ على قدر نُهيته، وينسك الناسك على قدر قوة اجتهاده، ويفتي المفتي مبلغَ رأيه، ويتصدق المتصدّق بقدر قدرته، ويجود البازل بقدر موجوده، ويقنتي المجدد عليه ما عرف من فضله.

ولكن مفتقد الماء في المفازة لا يقصّر به عن طلبه معرفة ما في البحار، ويجدّ في طلب ماء هذه الحياة قبل أن يقطع المعاش بالاشتغال عنه، وتعوقة العلة والحاجة، وتحول الأعراض بينه وبين ما يتسرع إليه.

ولن يدرك هذا العلم مؤثر بهوى، ولا راكن إلى دعة، ولا منصرف عن طلبه، ولا خائف على نفسه، ولا مهتمّ لمعيشته إلا أن يتعوذ بالله ويؤثّر دينه على دنياه، ويأخذ من كنز الحكمة الأموال العظيمة التي لا تكسد ولا تورث بميراث الأموال، والأنوار الجليّة، والجواهر الكريمة، والضّياع الثمينة، شاكرًا لفضله، معظّمًا لقدره مجللاً لخطره.

ويستعِذ بالله من خساسة الحظوظ، ومن جهل يستكثر القليل مما يرى في نفسه، ويستقلُّ الكثير العظيم من غيره، ويعجب بنفسه بما لم يأذن له الحق.

وعلى العالم الطالب أن يتعلم ما لم يعلم، وأن يعلم ما قد علم، ويرفُق بذوي الضعف في الذهن، ولا يعجب من بلاهة أهل البلادة، ولا يعنف على كليل الفهم ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾.

سبحان الله تعالى عن أقاويل الملحدين، وشرك المشركين، وتنقيص الناقصين، وتشبيه المشبهين، وسوء أهوام المتفكرين، وكيفيات المتوهمين.

وله الحمد والمجد على تليق الكتاب المثنوي الإلهي الرباني، وهو الموفق المتفضل، وله الطول والمن لا سيما على عباده العارفين على رغم حزب يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون، إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون، فمن بدَّله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه إن الله سميع عليم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه محمد وآله وعترته الطيبين الطاهرين، وسلّم تسليمًا كثيرًا وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المقدمة الفارسية المنظومة

يا ضياء الحق حسام الدين هات، ثالث الدفاتر فالسنة ثلاث مرات. افتح علينا كنز الأسرار، ودع في الدفتر الثالث الأعذار. قوّتك من قوة الحق تخلق، لا من عروق بالحرارة تخفق. إن سراج الشمس المضيء، ليس بالفتيل والزيت يُضيء. وسقف السماء الدائم، ما هو بالأطناب والعمد قائم. وليست بالطعام قوة جبريل، بل من رؤية الخلاق الجليل. وكذلك قوة أبدال الحق من الحق، لا من الطعام والطبق. وكذلك خُلقت عيونهم من النور، ففاقوا الروح والملك البصير. إنك موصوف بأوصاف الجليل، فجاوِز نار الأمراض كالخليل. النار برد وسلام، وإنما العناصر لمزاجك حُدّام. لكل مزاج أصل من العناصر ومزاجك فوق كل درجة ظاهر. إن مزاجك من العالم المنبسط، فهو لصفات الوحدة ملتقط. وأسفاً لساحة أفهام الخلق، ضاقت وليس للخلق حلق^١ بحذق رأيك يا ضياء الحق الأعزّ، تهب حَلواك حلقاً للحجر^٢.

أصاب حلقًا يوم التجلي الطور، فشرِب الخمر ولم يكن عليها بصبور.^٢

(صار دكًا منه وانشق الجبل هل رأيتم من جبَلٍ رقصَ الجمل)؟

هبة اللقمة من الإنسان للإنسان، وإنما هبة الحلق للخالق الديان. يهب حلقًا لكل جسم وروح واحدة، ولكل عضو منك على حدة. لتكون إجلايَّ العمل، بريئًا من الزيف والدغل، فلا تفشي لأحد سر السلطان، ولا تريق الشهد للذبان. تتلقى أسرار الجلال الأذنان، ممن خرس كالسوسن وله مائة لسان^٥ ويهب الحلق للتراب لطف الوهاب، ليشرِب الماء وينبت مئات الأعشاب.

ثم يهب الحلق والشفة للحيوان، ليأكل العشب في كل مكان. فإذا أكل العشب سَمِن وترّ، فصار طعامَ الإنسان لا مفرّ.

ثم يحور الترابُ أكَّالَ البشر، حين يفارقه الروح والبصر. وكم رأيت ذرّات مفتحة الأفهام، إن أبين أكلها طال الكلام. له على الأقوات بالأقوات إنعام، وللمرضعات مرضعات من لطفه العام. ويهب الأرزاق أرزاقًا كما يشاء، وإلا فكيف ينمو البرُّ بغير غداء؟ لا أرى لهذا الكلام انتهاءً، قلت جزءًا وأنت تعلم أجزاءً. العالم كله أكل ومأكول، والباقيات مُقبِل ومقبول،^٦ هذا العالم وسكانه منتشرون، وذاك العالم وقطانه مستمرون. هذا العالم وعشاقه إلى انقطاع، وأهل ذاك العالم للخلد والاجتماع. فالكريم من لنفسه أهدى، ماء الحياة الذي يبقى أبدًا. الكريم هو الباقيات الصالحات، قد خلص من الأهوال والآفات. إن تكن ألفًا فهي واحدة لا أكثر، ليست كالخيالات بالعدد تُكثّر.^٧

وللاكل والمأكول مَرِيءٌ وحَلْقٌ، وللغالب والمغلوب عقل وحذق، وقد وهب الحلق لعصا العدل، فكم أكلت من عصا وحبل.^٨ ولم يزد جوفها بهذا الأكل، لم يكن حيوانيًا أكلها والشكل. ثم وهبَ اليقين حلقًا كالعصا، فأكل كل خيال يُرى. فللمعاني حلو كالأعيان، ورازق حلو المعاني هو الله المنان.^٩ فليس بين الثرى والثريا خلق،^{١٠} إلا له لجذب قوته حلق. وحلق الروح من فكرة البدن خليّ، فقوته إذا إجلايَّ.

والشرط تبديل المزاج فاعلم، بمزاج السوء موت الأشرار يُحتم. إذا صار مزاج الإنسان أكل الطين، فهو شاحب سقيم مهين. فإن تبدل مزاجه القبيح، أضاع كالشمع وجهه الصبيح.

إن المرضع التي تغذو الرضيع، وتنعمه بهذا الصنيع. إن حالت بينه وبين الأثداء، فتحت له طريق الحدايق الغناء. فالثدي لهذا الضعيف حجاب، دون آلاف النعم من طعام وشراب.

فحياتنا إذاً موقوفة على الفطام، فاجهد رويداً وحسبك هذا الكلام. غذاء الإنسان الدّم وهو جنين، يأخذ الغذاء من نجس مهين. فإذا فطم من الدم فاللبن غذاؤه، وإذا فطم من اللبن فاللحمة كفاؤه. وإذا فطم من اللحمة فهو لقمانّي، يحاول الظفر بالسر الربّاني^{١١}.

ولو قبل للجنين في الرحم: في الخارج عالمٌ جدُّ منتظم. أرض ذات بهجة وسعة، بالنعم والأطعمة مترعة. وجبال وصحاري وبحار، وحدائق وزروع وأشجار. وسماء رقيقة ذات ضياء، وشمس وقمر ونجوم زهراء. وجنات في عُرس وحبور، بالجنوب والشمال والدّبور. لا يحيط الوصف بما فيها من العجائب، وأنت في هذه الظلم والمصائب. تغتذي الدم في هذا الخباء، في حبس ونجس وعناء. لردّ هذا القول وأنكر، وأعرض عن هذه الرسالة وكفر. وقال: محال وخداع وغرور، عمي وهمه عن هذا التصوير.

لم يدرك جنس الشيء بصره، فسّمعه ياباه وينكره. وكذلك عامة الناس في هذه الدنيا، يحدّثهم الأبدال عن العقبي. يقولون هذه الدنيا بئر مظلمة الأركان، وخارجها عالم وراء الروائح والألوان. فما يكون من أحد تصديق، فإن الطمع حجاب صفيق. يُصمُّ الطمع الأذن عن الاستماع، ويُعمي الغرض العين عن الاطلاع. وكذلك حجب الجنين حرصه على الدم، وهو غذاؤه في وطن الظلم. حجبه عن حديث هذا العالم، إذ لم يعرف إلا الدم من المطاعم.

هوامش

- (١) منبسط وملتقط وخلق وحلق جاءت في قافية الأصل بلفظهما.
- (٢) يعني أن كلامه يخلق الإدراك والفهم في العقول القاسية التي هي كالحجارة.
- (٣) يريد جلال الدين بالخلق في هذا الفصل الإدراك والقبول حيناً والبلع والازدراء حيناً آخر كما يأتي.
- (٤) الإجلالي المنسوب إلى الإجلال؛ أي إلى الصفات الجليلة يعني صفات الله تعالى.
- (٥) أوراق السوسن المحيطة به تشبه باللسان، والمراد من استطاع الكلام وكف عنه حفظاً للأسرار.

- (٦) يعني المعاني الخالدة التي ليست من عالم الحسّ.
- (٧) لما قال إن الكريم هو الباقيات الصالحات أراد أن يفسر الإخبار عن المفرد بالجمع فقال: إن الصالحات — وإن كانت آلافًا — حقيقة واحدة، والحق واحد مهما تعددت أمثاله، ليس كالخيالات التي لا يجمها حقيقة فهي معددة مكررة.
- (٨) إشارة إلى عصا موسى وتلقفها عصي السحرة وحبالهم.
- (٩) انظر إلى هذا الفكر الشامل؛ عالم الأعيان آكل ومأكول، وعالم المعاني كذلك: يأكل اليقين الشك، والحق الباطل. وقد جاء في الكتاب الكريم: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.
- (١٠) في الأصل: أز مه تا بماهي، أي من السمك إلى القمر، وقد سوغ الجمع بينهما في الفارسية تقارُب اللفظين: ماهي وماه.
- (١١) يعني إذا راض نفسه وأقل الطعام، صار حكيماً كلقمان.